الحركات الإصلاحية في الهند وأثرها في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني

بحث جامعي لنيل شهادة ما قبل الدكتوراه

إعداد

محمود حافظ عبدالرب مرزا

تحت إشراف

البروفيسور سيد إحسان الرحمن

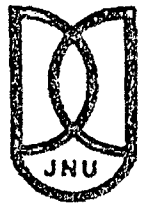

مركز الدراسات العربية والأفريقية

مدرسة دراسات اللغة والأدب والثقافة

جامعة جواهرلال نهرو

نيودلهي-٦٧

٢٠٠٥م

مركز الدراسات العربية و الأفريقية
Centre of Arabic and African Studies
School of language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University, New Delhi-110067
जवाहरलाल नेहरू विश्वविद्यालय, नई दिल्ली-110067

Date: 20-07-2005

DECLARATION

I hereby declare, that the material in this dissertation entitled "**Al-Harakat al-Islahia fi al-Hind Wa Asaruha fi al-Kefah Zedda al-Istiámar al-Britani**" submitted by me is the original work and has not been previously submitted for any other degree of this or any other University/Institution.

Mahmood Hafiz Abdul Rub Mirza
Research Scholar

Prof. S. A. RAHMAN
(Supervisor)
CAAS/SLL&CS/JNU

Prof. S. A. RAHMAN
(Chairperson)
CAAS/SLL&CS/JNU

Gram : JAYENU Tel.: 2670 4253 TELEX : 031-73167 JNU IN Fax : 91-11-2671 7525

الحركات الإصلاحية في الهند وأثرها في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

المحتويات

الصفحة

المقدمة ١

الباب الأول :
أضواء على الهند منذ ظهور الحركات الإصلاحية وحتى ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م.

الفصل الأول:
أضواء على الحركات الإصلاحية الإسلامية في الهند

(منذ بدأ حركة شاه ولي الله الدهلوي وحتى نشوب ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م) ٧

الفصل الثاني:
نتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م..... ٢٠

الباب الثاني:
مساهمة دار العلوم ديوبند في حركة تحرير الهند

الفصل الأول:
تأسيس مدرسة دار العلوم ديوبند ٣٤

الفصل الثاني:
حركة المكاتيب الحريرية (حركة ريشمي رومال) ٤٣

الفصل الثالث:
جمعية علماء الهند ٥٥

الباب الثالث:
حركة عليكره وحركة الاستقلال

الفصل الأول:
حركة عليكره وموقف السر سيد من حركة الاستقلال ٦٣

دور السر سيد أحمد خان في نهضة المسلمين ٧٦

الفصل الثاني:
دور أبناء عليكره في الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي ٨٢

الباب الرابع:
مولانا أبو الكلام آزاد

الفصل الأول:

مولانا أبو الكلام آزاد ودوره في سياسة الهند ١٠١

الفصل الثاني:

أفكار أبو الكلام آزاد ونظرياته السياسية ١١٢
الخاتمة ١١٨
المراجع ١٢٣

شكر وتقدير

... لايسعني – بعد أن وفقني الله إتمام هذا البحث– إلا أن أتوجه إليه جـــل وعلا بالحمد والثناء على توفيقه ونعمائه.

واعترافا بالفضل لأهله وامتثالا لقول المصطفى صلى الله عليه وسلم:

"من لا يشكر الناس لا يشكر الله" فإني أتوجه بالشكر الجزيل إلى أصحـــاب الفضيلة القائمين على جامعة جواهر لال نهرو الذيـــن أتـــاحوا لي الفرصـــة للدراسة في هذه الجامعة الموقرة وذلك في مركز الدراسات العربية والأفريقية.

كما أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي المكرم البروفيسور إحسان الرحمن –حفظه الله وأطال عمره– الذي أشرف على هذا البحث بكل عناية وتوجيه. فجـــزاه الله خير الجزاء.

كما أنتهز هذه الفرصة لأشكر الأساتذة الأجلاء في مركز الدراسات العربيـــة والأفريقية الذين شجعوني على كتابة هذا البحث وأرشدوني إلى الموارد الهامـــة للمواد العلمية في هذا الصدد.

وقد يكون من الجور إن لم أشكر زملائي وأصدقائي الأحبة وخاصة الأخ عطاء الرحمن، فيضان أحمد، نبيل مرزا، نعمان أحمد، محمد أكرم، عبد المغني، محمـــد راشد، ساغر أعظمي، محمد أصف، آفتاب عالم، صلاح الدين أيوب، وصـــي الحق، مسعود عالم، صهيب عالم، عبد الرازق، عمران أعظمي وكل من قـــام بمساعدتي في كتابة هذا البحث المتواضع فشكرا لهم لتعاونهم الغالي.

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا أشرف الأنبياء والمرسلين، أما بعد،

دخل المسلمون في هذه البلاد بدافع ديني ليحملوا إلى أهلها رسالة دين الإسلام وليخرجوهم من عبودية الأصنام، ويهدوهم إلى الصراط المستقيم، نحو محمود الغزنوي، وشهاب الدين الغوري، وظهير الدين بابر حيث تربع المسلمون على عرش السلطة أكثر من ثمانية قرون بسبب تفوقهم العسكري، وأسلوب حكمهم وحضارتهم التي تركت بصمات واضحة على أرض الهند، وكان ازدهار الحضارة في عهد المغول من الأحداث الهامة في تاريخ الهند ولكن لم يستطع خلفائهم الضعاف الذين قدموا من بعدهم في المحافظة على هذه الحضارة، وفي وقت قصير جدا، ظهرت الفتن واجتمعت على الدولة المغولية كل قوى التخريب، وبعد وفاة أورنغ زيب عالمكير ضعفت الحكومة المركزية، واستقل حكام الأقاليم، وسيطرت عليهم مصالحهم الخاصة، وتعاركوا فيما بينهم على الحكم حتى فسدت القيم الأخلاقية، واضمحل اقتصاد الدولة، وانعكست تلك الأوضاع السيئة سلبا على الناحية الدينية فعمت البدع والخرافات، وابتعد الناس عن الدين ونسي المسلمون روح الإسلام فعم الفساد الأخلاقي، وانتشرت الأمراض الاجتماعية واجتاحت البدع والخرافات الهندوسية ولهذا كان الوقت مناسبا والبيئة صالحة لظهور مصلحين إسلاميين في وسط هذه الفوضى والاضطرابات الاجتماعية والدينية والسياسية وذلك لشرح تعاليم الإسلام من جديد.

ظهر الفساد العقلي والاجتماعي منذ عهد الملك جلال الدين أكبر، لذا ظهرت حركة إحياء الدين التي نادى بها الشيخ أحمد السرهندي في عهد الملك جهانكير، وضمت تحت لوائها مئات العلماء، وقام الشيخ السرهندي

بمحاولة إزالة الركود الفكري، وأكد على ضرورة اتباع القرآن والسنة النبوية، وظهر أثر هذه الحركة على أكمل وجه في عهد شاه جهان، وأورنغ زيب، والذي بموته تعرضت الحياة الاجتماعية للمسلمين إلى خطر شديد جدا وذلك نتيجة التدهور السياسي ومحاولة الإنجليز الهيمنة على حكم الهند والسيطرة عليه. فبزغ نجم الشيخ شاه ولي الله الدهلوي الذي حاول إصلاح شؤون المسلمين قدر الإمكان.

بدأت شركة الهند الشرقية تنفرد بحكم الهند وتعرض عليها قوانينها الجائرة وتحاول نشر المسيحية بكل السبل فتصدى لها بعض العلماء ورجال الدين، وظهرت الحركات الإصلاحية الإسلامية المختلفة من أجل إشعال نار الجهاد الوطني امتدادا من شاه ولي الله الدهلوي وشاه عبد العزيز حتى سيد أحمد الشهيد.

قامت حركة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، بإشعال نار الثورة ضد الأوامر الإنجليزية الغاشمة، وأعلن المسلمون عصيانهم وتمردهم عليها، ولكن لعدم وجود إمدادات كافية وجهل قوادها بتنظيمها، فشلت هذه الثورة، وأصيب المسلمون إثر إخفاقها بجمود تعليمي واجتماعي وسياسي، وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم وأصابتهم دهشة الفتح، وأساءت الحكومة الإنجليزية الظن بهم واستغنت عنهم في وظائفها وإدارة شؤونها، فأصبح المسلمون الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارة شؤونها.

وبدأت بعض الحركات الإصلاحية الإسلامية تظهر على مسرح الوجود ثانية كحركة ديوبند متمثلة في مدرسة دار العلوم ديوبند التي قام بتأسيسها مولانا محمد قاسم النانوتوي عام ١٨٦٦م. التي رفضت التعليم الغربي الحديث وعزمت على عدم التعاون مع الحكومة البريطانية المستعمرة،

وقامت بدور بارز في الحفاظ على العلوم الدينية والعقائد الإسلامية والشعائر الدينية السمحة والمساهمة في حركة تحرير البلاد.

أسس السر سيد احمد خان حركة عليكرة الإسلامية واتبع فيها سياسة جديدة قامت على أساس التقريب بين المسلمين والإنجليز، وكان هدفه الأسمى هو نشر العلوم والآداب الغربية، حيث لقي عراقيل عديدة في هذا الطريق ومع ذلك واكب مسيرته واتخذ سبيله في البحر سربا.

كما ظهرت مدارس أخرى نحو ندوة العلماء لكناو والمدرسة السلفية بنارس وجمعيات إسلامية نحو جمعية علماء الهند وجماعة التبليغ والجماعة الإسلامية التي نالت ترحيبا واسعا في جميع الأوساط العلمية والدينية في الهند وخارجها لتقدمها في جميع الميادين المختلفة نحو متابعتها مسيرة الحركات الإصلاحية في الهند ومساهمتها في حركة الكفاح لتحرير البلاد من الاستعمار الأجنبي الغاشم.

كما يجب علينا ألا ننسى دور العلماء الذين ساهموا في نشر التوعية الإسلامية ومشاركتهم الفعالة في حركة تحرير البلاد، كمساهمة أبو الكلام آزاد الذي رفع لواء الإصلاح في مختلف أرجاء البلاد وكان من مؤيدي نظرية اندماج الدين مع السياسة وكان يعتبر الدين جزءا أساسيا للسياسة، فاستطاع بفضل جهوده الكريمة أن يرفع شأن المسلمين في مجال السياسة ولعب بتوه دورا بارزا في السياسة الهندية وحصل على مناصب مرموقة فيها.

أما الدافع الرئيسي الذي دفعني إلى الخوض في هذا الموضوع هو أن الجميع يعلم بأن العلماء غالبا ما يحاولون التقيد بأمور التعليم والتدريس وإصلاح أبناء البشر ونشر الإسلام والاهتمام بالعلوم الدينية، إلا أن الأجواء السياسية السيئة التي ظهرت في البلاد حيث اضمحلت القيم والأخلاق وانتشر أرباب المسيحية في البلاد بعد ضم الهند إلى مستعمرات التاج لنشر

المسيحية بكل قوة ونشاط. فإن الشكل الظاهري يوحي بأن العلمـــاء قـــد تأهبوا في الذود عن الإسلام والمسلمين والقيام بالعمليات النضاليـــة ضـــد الحكومة المستعمرة في محاولة جادة في الحفاظ على الكيان الإســـلامي مـــن الانهيار والاندثار، علما بأن هؤلاء العلماء إن لم يقوموا بعمليات صدهـــم وردعهم للعدوان الأجنبي الغاشم بمكافحة عملياتهم التبشيرية والخـــوض في حركة تحرير البلاد، لأصبحت الحرية والاستقلال بعيدة عن متنـــاول أبنـــاء البلاد. فاستطاعوا حقا أن يحبطوا جميع آمال الحكومة المستعمرة في الحفـــاظ على السيادة في أرض الهند.

إن الأعمال التي قام بها هؤلاء العلماء في شبه القارة الهندية جديرة بألا يتغاضى عنها كل من يقوم بدراسة تاريخ الهنـــد وكفـــاح أبناءهـــا لنيـــل الاستقلال من براثن الاستعمار الأجنبي، علما بأن هذا يعتبر علامة رئيســـية توحي للجميع بمدى خبرتهم في المجال السياسي وبصيرتهم الفذة وحنكتـــهم السياسية، والذي يمكن اعتباره بأنه قلما يوجد في تاريخ العالم نظير لذلك... فكان من الأهمية بمكان أن أقوم بالبحث عن هذا الجانب وذلك بعرض بعض الحركات الإصلاحية الإسلامية في الهند التي قام بتأسيسها العلماء الأفـــاضل وتلميح آثار حركاتهم الإصلاحية في الكفاح ضد الاستعمار الأجنبي الغاشم. وقد قسمت هذا البحث إلى أربعة أبواب رئيسية وكل باب له عدة فصـول. فالباب الأول هو عبارة عن إلقاء أضواء سريعة على الهنـــد منـــذ ظـــهور الحركات الإصلاحية الإسلامية وحتى نشوب ثورة التحرير الهنديـــة عـــام ١٨٥٧م. وفيه فصلان وهما:

الفصل الأول: أضواء على الحركات الإصلاحية الإسلامية في الهند (منذ بـــدأ حركة شاه ولي الله الدهلوي وحتى نشوب ثورة التحريـــر الهنديـــة عـــام ١٨٥٧م).

الفصل الثاني: نتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م.

والباب الثاني في مساهمة دار العلوم ديوبند في حركة تحرير الهند وقسمت هذا الباب إلى ثلاثة فصول وهي كما يلي:

الفصل الأول: تأسيس مدرسة دار العلوم ديوبند.

الفصل الثاني: حركة المكاتيب الحريرية (حركة ريشمي رومال).

الفصل الثالث: جمعية علماء الهند.

والباب الثالث في حركة عليكره وحركة الاستقلال، وقسمته إلى فصلين:

الفصل الأول: حركة عليكره وموقف السر سيد من حركة الاستقلال.

الفصل الثاني: دور أبناء عليكره في الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي.

أما الباب الرابع فهو في مولانا أبو الكلام آزاد وفيه فصلان:

الفصل الأول: مولانا أبو الكلام آزاد ودوره في سياسة الهند.

الفصل الثاني: أفكار أبو الكلام آزاد ونظرياته السياسية.

وبعدها وصلت إلى الخاتمة، وحاولت فيها أن أذكر أهم النتائج التي وصلت إليها أثناء دراسة هذا البحث. وهي في الحقيقة عصارة هذا البحث الوجيز.

هكذا ينتهي هذا البحث المتواضع بمن الله وكرمه حيث بذلت قصارى جهدي في جمع المواد العلمية ونظمها وتنسيقها، وحاولت أن أسير على المنهج الذي أرشد إليه المشرف المكرم على هذا البحث.

والله أسأل أن يلهمني السداد في القول والإخلاص في الفكر والعمل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

نيودلهي ٢٠ يوليو سنة ٢٠٠٥م.

محمود حافظ عبد الرب مرزا

جامعة جواهر لال نهرو

الباب الأول

أضواء على الهند منذ ظهور الحركات الإصلاحية الإسلامية وحتى ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م

الفصل الأول:

أضواء على الحركات الإصلاحية الإسلامية في الهند

(منذ بدأ حركة شاه ولي الله الدهلوي وحتى نشوب ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م)

الفصل الثاني:

نتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م

أضواء على الحركات الإصلاحية في الهند
(منذ بدأ حركة شاه ولي الله الدهلوي وحتى نشوب ثورة التحرير الهندية ١٨٥٧م)

إن الهند تعد من إحدى البلدان القليلة في العالم التي كان لها قصب السبق في مضمار الثقافة والحضارة منذ زمن طويل، حيث بدأت هذه البقعة من الأرض تزدهر وتنمو بعد نزوح المسلمين إليها في القرن الثالث عشر الميلادي، وبلغ ازدهارها إلى ذروة الكمال في عصر الإمبراطورية المغولية العظيمة، حتى اعتبرها معظم المؤرخين والباحثين من أغنى البلدان على وجه المعمورة، حيث كانت تزدهر بكثرة الموارد المالية والثروة الطائلة وأصالة العناصر الثقافية، وتمتعت البلاد بالأمن والأمان والرفاهية والرقي في العهد الإسلامي. ''فنعمت الهند في ظل الحكومات الإسلامية باستتباب الأمن والرفاهية قرونا طويلة، فازدهرت الزراعة وارتقى العمران وتقدمت الصناعة، لا سيما صناعة النسيج والغزل، فتوفرت الخيرات وتدفقت الخزائن، وطار صيتها في أرجاء المعمورة حتى سميت بـ"الطائر الذهبي"''[1].

والواقع أن الظروف في الهند بدأت تتغير عقب دخول القوة الاستعمارية إلى شبه القارة الهندية لأن النظام الاستعماري الأوروبي قد فتح بابا جديدا في تاريخ الهند. والجدير بالذكر هنا أن الأوروبيين قد عثروا على طرق بحرية جديدة في نهاية القرن الخامس عشر، فدخلوا الهند متنكرين بزي التجار، وانتهزوا فرصة عطف حكام المسلمين عليهم وتوفير التسهيلات كرفع الضرائب عنهم والسماح لهم بإنشاء مراكز التجارة في المناطق الواقعة على سواحل الهند، فاستغلوا حقا هذه التسهيلات والمراعاة التي أتيحت لهم

[1] عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد ص٢٤ (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -مصر-١٩٧٣م).

من قبل الحكام الإمبراطوريين وجعلوا ينقلون ثروة البلاد وخيراتها إلى بلادهم بعدما قبضوا وسيطروا على مقاليد السلطة بمؤامراتهم البشعة وسياستهم السيئة. علما بأن الحكم الإسلامي للهند قد بلغ ذروة القوة والاتساع في عهد أحد ملوكه الإمبراطور "أورنغ زيب عالمكير" الذي ضم الهند كلها تقريبا تحت سلطانه مما لم يسبق له مثيل من قبل، ووحد الهند كلها تقريبا، وحكم البلاد حكما إسلاميا حازما. ''وبعد وفاة الإمبراطور "أورنغ زيب عالمكير" في عام ١٧٠٧م، بدأت الإمبراطورية المغولية تتهاوى من القمة، حيث فقدت الحكومة المغولية حيويتها وتدهورت قوتها السياسية، وبدأت رقعة الدولة تتفتت شيئا فشيئا، وتتاح الفرصة لبعض الأمراء الهندوس والسيخ ليجمعوا الجيوش ويشنوا حربا على الدولة الإسلامية، ويقتطعوا من جسمها الكبير ولايات لهم يحكمونها، والملوك المسلمون يضعفون شيئا فشيئا، وينحسر نفوذهم، وينكمش سلطانهم حتى أصبحوا صورة لا نفوذ لها ولا سلطان''[١].

فأخذت البلاد تنقسم إلى دويلات عديدة في مختلف المناطق والأقاليم ولم تكن في الهند حينذاك أية سلطة متحدة متماسكة قادرة على صيانة البلاد من المستعمرين الأوروبيين.

فلا ندخل في العقد السادس من القرن الثامن عشر إلا ونرى أن شركة الهند الشرقية البريطانية (East India Company) قد رسخت أقدامها في الهند وما يجاورها من البلدان، وبدأت العناصر التخريبية تنتهز هذه الفرصة لتبدأ نشاطاتها وتلعب دورا هاما في تفاقم أوضاع الإمبراطورية، وبالطبع انتهز الأوروبيون هذه الفرصة أيضا ليبدأوا بممارسة أعمالهم التجارية في أرجاء الدولة المغولية بكل حرية، وبدأوا يراقبون الظروف السياسية الهندية

---

[١] ثقافة الهند، المجلد رقم ٤١، العدد ٢، ص٣٧ عام ١٩٩٠م.

السائدة آنذاك بكل دقة، كما بدأوا يدرسون أوضاعها الاجتماعية بالتعمق والإمعان ووصلوا إلى النتيجة أن أحوال ذلك الزمن كانت ملائمة للسيطرة على بلاد الهند. وبدأ أمراء الولايات المتعددة التابعة للإمبراطورية يحاولون تنفيذ أحكامهم وتطبيقها بدون أي تدخل من قبل الإمبراطورية. وأصبحت قوة "المراهته" تسود أرجاء الإمبراطورية، وبدأ "الروهيلا" بالسيطرة على المناطق الواقعة في شمال دلهي، أما المناطق الواقعة غرب دلهي فقد سيطر عليها "الجات"، وبدأت النزاعات والاشتباكات بين هؤلاء الحكومات تشتعل تدريجيا وتساهم في تفاقم أوضاع البلاد إلى حد كبير، وفي غضون تلك الفوضى والفساد الذي عم أرجاء الدولة، والأوضاع السيئة التي كانت تعاني منها، قام "نادر شاه" بشن حملة عسكرية على مدينة دلهي في عام ١٧٣٩م، فقتل ونهب وملأ في الأرض فسادا، وقام "أحمد شاه أبدالي" بحملة عسكرية على الإمبراطورية في عام ١٧٤٧م، ساهمت في تدهور مستوى البلاد بأكمله، وبعدها أغار عليها "أحمد شاه أبدالي" عدة مرات متتالية، فأصبحت الحكومة المركزية تضعف تدريجيا، كما أن تعاقب الملوك الضعاف بعد وفاة الإمبراطور "أورنغ زيب عالمكير" قد لعب دورا هاما في تدهور الحالات الاقتصادية والاجتماعية، وبدأت الأهمية الدينية تنكمش تدريجيا، فعندما تتدهور الأحوال الدينية لأية دولة، ويعم الفوضى ويسود الفساد في الأرض وتنتشر البدع والظلال، فإن الله يرسل عبدا من عباده المخلصين ليقوم بإنارة الطريق السوي ويهدي الناس ويخرجهم من الظلمات إلى النور ويزيل هذه الخرافات والبدع بحركته الإصلاحية، وهذه هي السنة الإلهية ولن تجد لسنة الله تبديلا. يقول الدكتور ظهير أحمد صديقي:

"عندما تبلغ الأحوال أسوأ مراحلها، فإنه وطبقا للسنة الإلهية يظهر مصلح يقوم بإنارة الطريق المظلم بنور تعاليمه، فظهر هذا النور يحمل اسم شاه ولي الله الدهلوي"[1].

ولد شاه ولي الله الدهلوي في عام ١٧٠٢م، والإمبراطورية المغولية تعاني من أشد أنواع التدني والتدهور، فتفاقمت الأحوال وأثرت سلبا على جميع المجالات وخاصة على المجال الديني، فشاهد رحمه الله تفكك البلاد وتشتت شملها، وكثرة النزاعات بين أبناء البلاد، وظهور البدع والخرافات في الدين، وانتشار الفوضى والفساد، ففكر في إزالة هذا الداء الذي لعب دورا هاما في تفاقم قوى المسلمين بكل ما ملكت يداه من المشاعر الدينية والعبقرية الفذة والعلم والعمل الدؤوب، وقام بإنشاء حركة إصلاحية في شتى المجالات، لأنه كان يرى أن تمسك أبناء البلاد بتعاليم الدين قد بدأ ينحط تدريجيا، لأن الدين الإسلامي لا يقوم إلا بتلقين المرء بالتحلي بالصفات الإنسانية، ويساهم في بناء الوطن والمجتمع، ويساعد في تحسين الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للبلاد، لأنه شاهد بأم عينيه تدهور أحوال المسلمين بسبب تدخل الإنجليز في شؤونهم الخاصة. لذا، فإنه بدأ يخطط في وضع أسس محكمة في تشريد المستعمرين من البلاد، لأن هؤلاء الإنجليز قد أثروا على التجار المسلمين بشكل رئيسي، حيث كان يتأسف من تدهور أحوال التجار الهنود، وبذلك تفاقم أوضاع البلاد وازديادها سوء.

بينما سافر "الشاه ولي الله الدهلوي" إلى الحجاز وقضى أكثر من سنتين هناك ينظر إلى العلم الإسلامي الذي كان يرفرف هناك، ويتطلع إلى أسباب ذلك ويحاول تطبيق أحواله على أحوال المسلمين في الهند، فإنه تعمق في دراسة أوضاع الدول الأوروبية والدول الآسيوية الأخرى، ورجع من

---

[1] د. ظهير أحمد صديقي، مؤمن شخصيت أور فن ص٥٩

هناك بأفكار جديدة مستحكمة وذهن نشيط، فبادر الأعمال الإصلاحية بأساليب جديدة.

يقول مولانا محمد ميان:

''إن الرحلة التي قام بها "شاه ولي الله الدهلوي" إلى الحجاز أتقنته الأسس الوطيدة التي يمكن بواسطتها معالجة الوباء السائد آنذاك في الهند وتحسين الأوضاع الراهنة وذلك بإتباع أسلوب "فك كل نظام" أي انقلاب شامل يقوم بتغيير الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، لأن جميع هذه الأنظمة كانت خاضعة للسلطة الملكية، وأن هذا الوباء قد اختلط في كل مجال، الذي كان يتطلب تغيير تلك الأنظمة لتحسين الأحوال الراهنة في البلاد''[1].

وعند رجوعه من هناك قام بوضع الأسس السياسية والاقتصادية، التي ظهرت على جميع الشعوب في البلاد، وذلك في مصلحة العمال، الذين كانوا يبذلون قصارى جهدهم في العمل، والضرائب الكثيرة التي كانت مفروضة على المزارعين والفلاحين فاعتبرها عداء على هؤلاء الطبقة. وبدأت هذه الأفكار الإصلاحية لهذا العالم تنتشر تدريجيا وأصبحت تشكل حركة قوية.

وعندما بدأ المسلمون يظهرون رغبتهم في الاشتراك في هذه الحركة، شعر الإنجليز بالخوف منها، فأطلقوا عليها اسم الحركة الوهابية التي ظهرت في أرض الحجاز على يد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لتشويه صورة هذه الحركة، ومحاولة غرس بذور الاشتقاق في صفوف المسلمين، إلا أن هذه الحركة قد بدأت باتباع نهج العصيان والتمرد والانقلاب على الحكم الإنجليزي الغاشم، ''كما أن المجاهدين كانوا في إخلاصهم لفكرهم لا يبالون

---

[1] مولانا محمد ميان، علماء هند كا شاندار ماضي ص٥ الجلد الثاني (كتابستان ١٩٨٥م).

بما يلاقون من عذاب وتنكيل، ويسميهم المؤرخون الذين كتبوا عن الهند من الإنجليز ومن تابعهم بالوهابيين، ظنا منهم أن باعث هذه الفكرة كان وهابيا لتشابهه مع الوهابية في الدعوة لتطهير المجتمع الإسلامي من البدع والخرافات، وقد ازدادت هذه التسمية لصوقا بهم لأن الإنجليز كانوا يريدون تنفيذ أهداف خاصة من وراءها، إذ استعملوها تهمة يشوهون بها سمعة هؤلاء المجاهدين المخلصين ويضعفونهم أمام أغلبية المسلمين، الذين حقدوا الحركة الوهابية الأولى من أجل هدمها للقباب في الحجاز"[1].

وقد رفع "شاه ولي الله الدهلوي" لواء هذه الحركة رغم هذه الظروف المعادية والأوضاع الراهنة في البلاد، حيث أن شركة الهند الشرقية البريطانية كادت تسيطر على جميع أرجاء البلاد. يقول مولانا محمد ميان صاحب:

> "إن الحركة التي بدأها "شاه ولي الله الدهلوي" في القرن الثامن عشر الميلادي باسم "فك كل نظام" كانت تعتبر انقلابا صريحا وشاملا على كل نظام، وكانت بمثابة شمعة تشتعل في ظل هبوب الرياح العاصفة باسم الملوكية أو ما يشابه ذلك"[2].

وبعد وفاة "شاه ولي الله الدهلوي" استلم ابنه "شاه عبد العزيز" لواء الحركة الإصلاحية، حيث أن القوة الإسلامية قد أصبحت خاضعة للشركة البريطانية، وبعد أن استطاع الإنجليز الاستيلاء على مدينتي "بتنه" و"بكسر" في عام ١٧٦٥م، فإن دلهي لم تكن بعيدة المنال، واستطاعوا السيطرة عليها أيضا، وذلك في عام ١٨٠٢م. وفي ظل هذه الأوضاع السيئة للبلاد وانتشار الفوضى والفساد وتفشي جميع أنواع الخرافات وسوء أحوال المسلمين،

---

[1] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص٣١ (مكتبة وهبة -مصر- ١٩٦٤م) وكذلك محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي، دار العلوم ديوبند ص٥٨ (أكاديمية شيخ الهند -دار العلوم ديوبند- ٢٠٠٠م) نقلا عن كتاب دعايات مكثفة ضد الشيخ محمد بن عبد الوهاب لفضيلة الشيخ محمد منظور عثماني (مكتبة العرفان -لكناو- ١٤٠٠هـ).

[2] مولانا محمد ميان، علماء هند كا شاندار ماضي ص٢٦ الجلد الثاني (كتابستان ١٩٨٥م).

بدأت هذه الحركة في تغيير نهجها وأسلوبها تدريجيا، حيث أصبحت تتأثر بالتقلبات السياسية في البلاد، وعندما شاهد "شاه عبد العزيز" هذه النكبات والاضطهاد الذي حل بالمسلمين وتطلع إلى أسباب ذلك، أعلن وجوب الجهاد ضد الإنجليز في عام ١٨٠٣م. وأفتى بترك الأعمال والوظائف لدى الإنجليز. يقول خواجه أحمد فاروقي:

''في عام ١٨٠٣م، عندما أفتى "شاه عبد العزيز" بأن الهند بعد تسلط الشركة الإنجليزية على السلطة الإسلامية أصبحت دار الحرب وعلى المسلمين أن يستعدوا للجهاد ضد الإنجليز، حيث تغيرت صورة الحركة كليا، وأصبحت تتكل على القيام بالحرب ضد الإنجليز. لذا، فإنه منذ عام ١٨٥٠ وحتى عام ١٨٦٢م استعان الإنجليز بأكثر من ٦٠ ألف عسكري لمحاربة المجاهدين والقضاء عليهم، إلا أنهم لم يتمكنوا من القضاء على هذه الحركة''[١].

كما أن هذه الفتاوي قد ساعدت المسلمين في الانضمام إلى هذه الحركة ومحاربة الإنجليز. لذا، فإننا نستطيع أن ندرك أهمية "شاه عبد العزيز" الذي نقل حركة شاه ولي الله الدهلوي من يد طبقة خاصة إلى جميع الطبقات. يقول "عبيد الله السندهي":

''لقد استطاع شاه ولي الله الدهلوي أن يقدم علومه وفنونه العلمية والدينية للطبقة العليا فقط، إلا أن "شاه عبد العزيز" استطاع أن ينقل تلك التعاليم إلى الطبقة المتوسطة أيضا، واستطاع أن يثبت لهم بأن هذا هو الأساس الذي تبني عليها

---

[١] خواجه أحمد فاروقي، أردو مين وهابي أدب ص١٢٢-١٢٣ (جراغ ره كذر).

الحكومة بنيانها، وبفضله تعالى فإن "شاه عبد العزيـــز" كـــان ناجحا في مهمته. لذا، عرف بسراج الهند"[1].

إن هذا العصر الذي كان يعتبر عصرا حساسا للغاية وخاصة بالنســبة للمسلمين فإن "شاه عبد العزيز" لم يظل ساكتا وواضعا يديه علـــى كفيـــه بدون أي عمل بل استطاع أن يلحق أحد تلامذته في الجيش ووضع الأساس الذي يستطيع اتباعها المسلمون في مواصلة عملياتهم الحربية، حيث أن "سيد أحمد الشهيد" الذي تولى مسؤولية هذه الحركة بعد وفاة "شاه عبد العزيـز"، فضل أن يكون جنديا ماهرا بدلا من أن يكون شيخا راســـخا في العلـــوم والمعارف. حيث أن هذا العصر قد جاء عقب عام ١٨١٨م، وقد خضعـــت معظم السلطات أمام الإنجليز، و لم تظل إلا هذه الحركة التي تســـير طبقـــا للإرشادات والتعاليم التي وضعها "شاه ولي الله الدهلوي"، وكانت تقـــف بالمرصاد أمام العداء الإنجليزي، فحاول "سيد أحمد الشهيد" أن ينظم جماعـــة ليعطي هذه الحركة أساسا يساهم فيه الشعب بأكمله، وتم تسليم القيادة لـــه رغم أن "مولانا محمد إسماعيل" كان أكبر منه سنا، لأنه كان يدرك أســـس السياسة وأساليب مكافحة الإنجليز وكان يتفوق عليه في هذا المجال. "علما بأن سيد احمد الشهيد قد أعد العدة وقام بترتيب جميع الخطوات الحربية ضد جماعة السيخ، حيث أن هذه الحرب لم تكن ضد هذه الجماعة، بل كـــانت ضد الحكومة الإنجليزية، لأن هذه الجماعة كانت موالية للحكومة الإنجليزيـــة وذات سيادة وطيدة في المنطقة الواقعة بين أفغانستان والهند، والتي كـــانت مبنية على أساس سفك دماء أبناء البلاد بوجـــه عـــام والمســـلمين بوجـــه خاص"[2]. " فكان ممن نهض بعمل الدعوة والتربية والجهاد على الأســـاس

---

[1] عبيد الله السندهي، شاه ولي الله أور أنكي سياسي تحريك، ص ٩٣ – ١٠٠ (كتاب خانه –بنجاب لاهور).

[2] قاضي محمد عديل عباسي، تحريك خلافت ص٤١ (قومي كونسل براى فروغ أردو زبان –نيودلهي– ١٩٩٧م).

الديني الإسلامي الصحيح وأحدث تغير هائلا في أوساط المسلمين، واستطاع إدخال عدد هائل من المشركين فى حفاوة الإسلام، وقام بالجهاد الإسلامي الذي كان المسلمون غافلون عنه وتناسوه منذ مدة"[1].

كما لا ننسى الدور الذي قام به فتح علي خان المشهور بـ"تيبو سلطان" الذي أدرك وانتبه لخطر القوة الاستعمارية. "فعرف تيبو سلطان ببعد نظره ودقة فكره أن الإنجليز سيزدردون هذه البلاد كلقمة سائغة إذا لم تقم في وجوههم قوة منظمة، فحارب الإنجليز بكل ما كان يملكه من قوة حربية وعدة عتاد، وحرض أمراء الهند على القضاء على الجرثومة الإنجليزية السامة"[2].

وظل يحاربهم وكاد ينهار كل ما بناه الإنجليز وأملوه في الهند لولا أنهم نجحوا في ضم أمراء الهند في جنوب الهند إلى معسكرهم فخسر القائد الشجاع، وخر شهيدا في المعركة وذلك في عام ١٧٩٩م، وفضل الموت على الأسر في يد الإنجليز والحياة في ظلهم وتحت رحمتهم. وقال كلمته الخالدة المأثورة في التاريخ: "يوم من حياة الأسد خير من مائة سنة من حياة ابن آوى" وتنفس الإنجليز الصعداء، واستراحوا من أقوى خصم لهم في الهند، ولما بلغ القائد الإنجليزي "هورس (Horse)" نبأ شهادة السلطان حضر ووقف على جثته وقال: "اليوم الهند لنا". أما في البنغال فقد قام الأمير "سراج الدولة" بالهجوم المباغت على حصون الإنجليز ليقضي عليهم ويريح البلاد من شرورهم وكيدهم في عام ١٧٥٧م، وكان من الممكن أن ينتصر على هؤلاء الأعداء لولا خيانة بعض قواده فباءت هذه المحاولة بالفشل وقبض عليه

---

[1] محمد واضح رشيد الحسني الندوي، الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند ص١٥ (مكتبة أبو الحسن علي -دهلي- ٢٠٠٤م).

[2] ابو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١٤٦ (المجمع الإسلامي العلمي -لكناو- ١٩٩٨م).

وأتاحت هذه النهاية المؤلمة للنفوذ الإنجليزي أن يزداد ويقـــوى في ولايـــة البنغال، ويتخذ منها قاعدة للسيطرة على البلاد كلها.

وبعد ذلك ظهرت حركة "سيد احمد الشهيد" إلى حيز الوجود بالفعل وذلك في بداية القرن الثالث عشر للهجرة، فدعا "سيد أحمد الشهيد" ورفاقه كافة المسلمين إلى الدين الخالص النقي، وأوقد في قلوبهـــم شـــعلة الإيمـــان والحماسة الدينية الإسلامية وحرضهم على الجهاد في سبيل الله، وبدأت هذه الحركة بتنفيذ الأعمال الإصلاحية والاجتماعية الشاملة وساهمت في تعزيـــز أواصر الصداقة والمحبة وقامت بتلقينهم دروس الاتحاد، كما أن هذه الجماعـة مهما كانت تصل أية منطقة حتى كان ينضم إليها الآلاف من الشباب ويقوم الكبار والمسنون بتقديم ما يمكن لهم من مساعدات بشتى الطرق والوســـائل. واستطاعت هذه الجماعة أن تتلقى ترحيبا من قبل جميع طبقات الشعب. وفي هذه الأثناء خرج "سيد أحمد الشهيد" مع جماعته إلى مكـــة المكرمـــة لأداء فريضة الحج، وبعد أن قدم من هناك ظهر في عقله نورا ساطعا. فـــأصبحت مقاصد هذه الحركة متغيرة للغاية، حيث أصبحت ترتكز على محاربة الإنجليز بشتى الوسائل، فقام بتدريب جماعته للبدء بالجهاد ضد الإنجلـــيز ووصلـــت الجماعة إلى منطقة "شكار بور" وذلك بعد عبور بنجاب وراجستان وحيـدر آباد، حيث كانت أعداد هذه الجماعة تتضاعف مرارا وتكرارا والمعـــدات الحربية كانت تزداد أيضا، إلا أن خصوم "سيد أحمـــد الشـــهيد" كـــانوا يتضاعفون أيضا، حيث كانت جماعة السيخ (Sikhs) تحت قيادة "رنجيـــت سينغ" تحاول القضاء عليهم من جهة، والبريطانيون يحـــاولون الانقضـــاض عليهم من جهة أخرى.

إن الحركة التي قادها "سيد أحمد الشهيد" كانت حركة قوية وفعالـــة ضد البريطانيين، حيث حاول "سيد أحمد الشهيد" ألا يكون هناك أي نـــزاع

بين المسلمين والهندوس وقام ببعض الأعمال الهامة من أجل ذلك ونقلها إلى جميع الناس، حتى اشترك رجالها في ثورة عام ١٨٥٧م أيضا، نحو حاجي إمداد الله ومولانا محمد قاسم النانوتوي ومولانا رشيد أحمد الغنغوهي وغيرهم.

كما لعب المجاهدون دورا بارزا في مواصلة الجهاد حيث بذلوا قصارى جهودهم لإقلاع جذور القوة الاستعمارية من أرض الهند، فنجح هؤلاء الرجال في تأسيس دولة شرعية في حدود الهند الشمالية الغربية تشتمل على "بشاور" وما جاورها من المدن والقرى ونفذوا الحدود الشرعية، وطبقوا النظام الإسلامي المالي والإداري تطبيقا دقيقا، واتجهوا نحو الجهة الأمامية إلا أن حاكم "بشاور" قد خانهم فانهزم المجاهدون وحاولوا أن يجعلوا "بالاكوت" مركزا لهم فقاموا بترتيب جنودهم مرة أخرى وكافحوا أعدائهم حيث واجهوا جنود السيخ هذه المرة، فاصطدم المجاهدون بجيش السيخ بقيادة "شير سينغ" في وادي "بالاكوت" فاستشهد الإمام "أحمد" وصاحبه "الشيخ إسماعيل" وكبار أصحابهما في سنة ١٨٣١م. يقول "خواجه أحمد فاروقي":

> "بلغت هذه الحركة قبل وفاة "سيد أحمد الشهيد" ذروتها في عام ١٨٣١م، حيث قام "شاه ولي الله الدهلوي" ببعض التغييرات في الأسس والنظريات قليلا، كما قام "شاه عبد العزيز" بإعطائها الصورة العملية، وقام "سيد أحمد بريلوي" بتبديلها إلى حركة شعبية وجهادية"[1].

وقد لعبت هذه الحركة دورا هاما في عملية نهوض المسلمين، حيث يقول "هنتر" الذي يعرف بتعصبه وحقده للمسلمين:

---

[1] خواجه أحمد فاروقي، أردو مين وهابي أدب ص١٢٢-١٢٣ (جراغ ره كذر).

''انتشرت هذه الأعمال الشرسة في كل بقاع الدولة، فكان من الصعب علينا أن ندرك من أي جهة نبدأ عملياتنا الإصلاحية، حيث أنه لم يكن أي أحد من أعضاء هذه الحركة مستعدا للخيانة على هذه الجماعة، بل كانوا يفضلون الموت على هذا العمل''[1].

واعترى اليأس بعد استشهاد هؤلاء المجاهدين جمهرة سكان البلاد الذين كانوا يتذمرون من قسوة عمال الشركة وسوء صنيعهم. ''وتصاعدت مضايقات الحكام الإنجليز واعتداءاتهم السافرة على المسلمين فبدأوا يسدون في وجوههم أبواب الوظائف الحكومية، ويجففون ينابيع الحياة الكريمة التي كانت تدر على المدارس الدينية والمؤسسات الخيرية ويحاولون الاستيلاء على الأملاك والعقارات''[2].

ووصل المسلمون الهنود إلى شفا جرف من الهلاك والدمار، وهم كانوا سادة البلاد وقادتها أمس. ''والمسلمون هم الشعب الذي كان نصيبه أكبر من نصيب كل شعب في البؤس والشقاء والحرمان''[3].

وثارت الجنود الإنجليزية في مايو سنة ١٨٥٧م بعد ما جرب الهنود الحكم الإنجليزي وغطرسة الإنجليز، وعدم احترامهم بالعاطفة الدينية ومشاعر وكرامة أهل البلاد، فانتشرت هذه الثورة في معظم أرجاء الهند، وأصبحت هذه الثورة ثورة شعبية عامة ساهم فيها المسلمون والهندوس على حد

---

[1] INDIAN MUSSALMAN BY W.W.HUNTER Page No. 146

[2] ثقافة الهند، المجلد رقم ٤١، العدد ٢ن ص٤٠-٤١ عام ١٩٩٠م. وأيضا رفيق زكريا، هندوستاني سياست مين مسلمانون كا عروج، ص٤١ (أردو ترجمة -دهلي- ١٩٨٠م).

[3] د. قدرة الله الحسني، السيد عبد الحي الحسني ص٤٥ وأيضا INDIAN MUSSALMAN BY W.W.HUNTER Page No. 223-224.

سواء. ''وقد صرح "السر وليم هنتر" بأن جمرات الجهاد التي أشعلها "سيد أحمد الشهيد" هي التي ألهبت نار هذه الثورة''[1].

وعندما أخفقت هذه الثورة، قام الإنجليز بنفي الإمبراطور "سراج الدين أبو ظفر شاه" إلى "رانجون" عاصمة بورما، وأعلنت الملكة "فيكتوريا" ضم الهند لمستعمرات التاج. فأصبحت الهند خاضعة تحت سيطرة الإنجليز، التي كانت تسري فيها الثقافة والحضارة الإسلامية، ليطبعها هؤلاء الإنجليز بطابعهم، ويقضوا على كل أثر للحكم الإسلامي السابق فيها، ويفتحوا الطريق لثقافتهم ونفوذهم.

[1] ابو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١٤٨ (الطبعة الرابعة المجمع الإسلامي العلمي -لكناو- ١٩٩٨م).

نتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م

إن ثورة عام ١٨٥٧م تعتبر من أهم الأحداث التاريخية في شبه القارة الهندية، والتي كانت حقا بداية عظيمة للكفاح ضد الاستعمار البريطاني، وقد ذكرت أحداث هذه الثورة في معظم الروايات التاريخية المشتملة على تاريخ الهند إلا أنه لم يتم التركيز وإلقاء الأضواء على الدور البارز الذي قام به المسلمون في هذه الثورة. والتي كانت تستوجب بأن تعتبر هذه الثورة كفاحا عظيما قاده المسلمون للحصول على الاستقلال من براثن الاستعمار البريطاني الغاشم، علما بأن معظم المصادر الموجودة عن هذه الأحداث لا تحتوي إلا على ما قد ذكره أو ألفه المؤلفون أو الباحثون البريطانيون، فاعتبروها بأنها عبارة عن تمرد الجنود الهنود على شركة الهند الشرقية البريطانية فقط. لذا، أطلقوا عليها اسم (Mutiny)، حيث أن هذا الاسم لا يمكن إطلاقه على هذه الثورة لأن هذه الثورة قد بدأها هؤلاء الجنود المتمردون حقا، إلا أنها أصبحت ثورة شعبية رهيبة لمشاركة المدنيين فيها بكل فعالية. ''فلم تكن هذه الثورة إلا نتيجة لقسوة موظفي الشركة البريطانية وسوء صنيعهم مع المواطنين الهنود فشارك فيها المسلمون والهندوس معا، وامتد لهيبها إلى جميع أنحاء البلاد ووقعت اشتباكات ومعارك دامية بين جنود الإنجليز وأهل الهند استمرت لبضعة شهور لتعد أول ثورة لتحرير البلاد ضد الاستعمار الإنجليزي ولكن عثر حظ الهنود وباءت الثورة بالفشل''[١].

ففي صباح يوم ١١ مايو ١٨٥٧م، بدأت النار تشتعل من مدينة "ميرت" لتعلن عن بدأ ثورة جماهيرية ضد هذه الشركة الإنجليزية، فأودت بحياة بعض المسؤولين البريطانيين. ''فكانت حقا ثورة جامحة لإنقاذ البلاد

---

[١] MODERN INDIA BY BIPAN CHNDRA Page No. 133-150.

من عار الاستعمار الأجنبي وتزعمها المسلمون، وانضم إليهم بعض الهندوس الذين نكبهم الإنجليز، وشملت أكثر نواحي الهند، ولكنها كانت أشد لهيبا في العاصمة دلهي وكان من الممكن أن ينجح الثوار، وينقذوا الإمبراطور المسلم "سراج الدين أبو ظفر بهادور شاه" وينقذوا البلاد من شر الاستعمار لولا أنها جاءت متأخرة بعد ما سرى السرطان الإنجليزي في كل شيء ففشلت، وتحمل المسلمون وحدهم نتائج هذا الفشل أمام العدو المنتصر"[1].

وقد وصلت هذه النيران إلى ضفة نهر جمنا، ومنها إلى القلعة الحمراء في دلهي، حيث دخل الثوار هذه القلعة عن طريق "باب راج غات" وهم مشتعلون ينادون بالإمبراطور المغولي "شاه بهادور ظفر الثاني" الذي كان سجين شركة الهند الشرقية البريطانية حيث كان حكمه محدودا في القلعة الحمراء والإنجليز يحكمون البلاد باسمه ونيابة عنه. والذي لم يكن لديه سوى أنه كان مرتبطا بالمغوليين، فمثله كمثل الملك المكبل بالحديد وطلب منه الإذن على ما يريدونه وليس لديه إلا أن يكون منقادا لما يرغبون. ويمكن لنا أن نورد هنا الأشعار التي قالها الشاعر الكبير:

من آلة الدست ما عند الوزير سوى ... تحريك لحيته في حال إيماء

فهو الوزير ولا أزر يشد به ... مثل العروض له بحر بلا ماء

فقد جعلوه قائدا للثورة ورمزا للوطنية الموحدة والكفاح الشعبي ونادوا به ملكا للهند. وقاتل الثوار في كل بقعة من بقاع الهند تحت رايته وباسمه، ينظرون إليه كزعيم للجهاد الوطني والديني، وينظرون إلى دلهي كعاصمة الحكومة الهندية الدائمة إلا جماعة السيخ وبعض الأمراء الذين قمع الإنجليز بهم هذه الثورة. رغم أن هذا الإمبراطور لم يكن على يقين تام من نجاح هذه الثورة أو واثقا من قدرته على لعب دور بارز في هذه الثورة.

---

[1] عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد ص٢٦ (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -مصر- ١٩٧٣م).

Jawaharlal Nehru University Library
TH - 12495

حيث استطاعت هذه الثورة أن تسيطر على مدينة دلهي وقتل سايمون فراسر (Simon Fraser) الوكيل السياسي الإنجليزي وبعض الإنجليز الآخرين، ودمرت المكاتب العامة والمؤسسات الحكومية. علما بأن ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، كانت ثورة غير ناجحة، إلا أنها كانت بداية جهد بطولي لإزالة الاستعمار الأجنبي. كما أن احتلال مدينة دلهي وعرض الإمبراطور بهادور شاه ظفر كإمبراطور للهند أعطى هذه الثورة دواعي سياسية إيجابية للتمرد والعصيان وأوجد مناخا جديدا لتجمع هؤلاء المتمردين وتذكر الأمجاد الماضية للإمبراطورية المغولية.

ومن الملاحظ أن الهندوس والمسلمين شاركوا في ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، وحاربوا الإنجليز جنبا إلى جنب، إلا أن عجلة القيادة كانت تحت أيدي المسلمين وأنهم قد حرضوا المواطنين الهنود على القتال وشن الحرب ضد الاستعمار البريطاني، وذلك لأن المسلمين كانوا حكام هذه البلاد منذ قرون عديدة، وكان الإسلام في الحقيقة حجر عثرة في سبيل الإنجليز إلى الهند، علما بأن الهندوس لم يكونوا أصحاب الفكرة في ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، و لم يكونوا مصدرها، وأن الثورة كانت نتيجة لما رآه المسلمون من أوضاع متدهورة بشكل عام ومن العراقيل والمعاناة التي كانوا يواجهونها في سد حاجاتهم البشرية بشكل خاص، كما أن الهندوس لم يكونوا يرغبون في المشاركة في مثل هذه الثورة، وأن المسلمين كانوا يحرضون الناس على ضرورة بغض المسيحيين. ووقع الاختيار على "مرزا مغول" (ابن بهادور شاه ظفر الثاني) ليكون قائدا للجيش، إلا أن عدم كفاءته قد خلقت بعض المشاكل. و لم تتحسن هذه الأوضاع إلا بعد قدوم جيش يزيد على ١٤ ألف رجل بقيادة "الجنرال بخت خان" الذي كان يعرف ويدرك استراتيجيات الحرب جيدا ويتقن فنونها الأساسية. ''فحاول في بداية

الأمر أن يقوم بتحسين وتعزيز الروابط الأخوية بين المسلمين والهندوس فطلب من "بهادور شاه ظفر الثاني" أن يصدر حكما بحظر ذبح الأبقار في عيد الأضحى المبارك احتراما لمشاعر الهندوس لها ولإيجاد التجانس والتآنس فيما بينهما، الذي لعب دورا هاما في اشتراك الهندوس والمسلمين معا في هذه الثورة ضد الإنجليز"[1].

إلا أنه ثمة اختلافات وقعت بين "مرزا مغول" و"الجنرال بخت خان"، فخرج الأخير من دلهي عند مباغتة الشركة البريطانية عليها متجها إلى "أوده" ومنها اتجه إلى نيبال واختفى في إحدى سفوح جبالها. "وقد كان من أكبر العلماء والمشايخ الذين قادوا الثورة وأشهرهم مولانا أحمد الله، ومولانا لياقت علي، وهما اللذان تزعما الحركة، وكان "الجنرال بخت خان" هو القائد العام ونائب الملك، وكان للحاج إمداد الله التهانوي، ومولانا محمد قاسم النانوتوي، ومولانا رشيد أحمد الغنغوهي، والحافظ محمد ضامن الشهيد، وغيرهم من العلماء والمشايخ مساهمة كبرى فيها"[2].

وقد برزت هذه الثورة كعلامة لتمرد الجنود الهنود والشعب في معظم أرجاء شمال الهند بالإضافة إلى وسط وغرب البلاد أيضا. وقد ظلت بعض مناطق جنوب الهند هادئة وتأثرت ولاية بنجاب وبنغال بشكل رئيسي، حيث أن نصف جنود الشركة قد تمردوا على أيديولوجية الجيش والتي شكلت بواسطة التدريب والقواعد المحكمة. "وقد بدأت تظهر بعض علامات الاستياء والغضب في بعض المعسكرات قبل حادثة ميرت. حيث أن الكتيبة الوطنية في برهام بور(Berhampur) التي رفضت استخدام الأسلحة الجديدة قد سرحت في مارس ١٨٥٧م. كما أن "منغال باندية" (Mangal

---

[1] HISTORY OF MUSLIMS BY M A SIDDIQUI Page No. 405.

[2] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١٤٨ (المجمع الإسلامي العلمي -لكناو- ١٩٩٨م).

Pande أحد جنود الكتيبة الوطنية الرابعة والثلاثين خطا خطـــوة إضافيـــة، حيث فتح النيران على رئيس ضباط الجيش فتم إلقاء القبض عليه وتســـريحه وتسريح كتيبته أيضا، وبالمقابل سرحت كتيبة أوده السابعة أيضا"[1].

كما لعب البطل المجاهد "مولوي أحمد الله شاه أكـــبر" دورا هامـــا في الكفاح ضد البريطانيين وتصدى لهم بكل قوة حتى انهارت لكناو تحت أيدي المستعمرين أيضا.

وفي غضون شهر من السيطرة على مدينة دلهي، انتشرت هذه الثـــورة إلى المناطق المختلفة في البلاد نحو كانبور ولكناو وبنارس والله آباد وبريلـــي وجغديشبور وجانسي. وامتازت نشاطات المتمردين بكونها معادية للإنجليز.

ففي "كانبور" حيث وقع الاختيار على "نانا صاحب" الابن الـــذي تبناه القائد "باجي راو الثاني"، الذي حرم من الحصول على لقـــب العائلـــة ونفي من مدينة "بونا" لأمر تباينت فيه الأقوال، واستقر بالقرب من مدينـــة "كانبور". كما أن "بيقوم حضرت محل" قد سيطرت على منطقة لكنـــاو، علما بأن الشعب كان متعاطفا مع النواب المعزول حيث أن ابنه "برجيـــس قادر" ادعى بأنه النواب ونظم الحكم الإداري بتقسيم المناصب الحكوميـــة الهامة بالتساوي بين المسلمين والهندوس.

وفي مدينة بريلي فان "خان بهادور" خليفة الحاكم السابق لروهيـــل كهند قد منح القيادة وكان يعيش في ظل البريطانيين، و لم يكن مهتما بهـــذه الثورة في بداية الأمر وحذر رئيس الجيش من الانضمام إلى هذه الثورة ولكن عندما اندلعت نيران الثورة تأهب بقيادة جيش يزيد على ٤٠ ألف جنـــدي وقاوم البريطانيين بكل حماس.

---

[1] INDIA'S STRUGGLE FOR INDEPENDENCE BY BIPAN CHANDRA Page No. 32 PUBLISHED BY NIKING IN 1988.

أما في "بهار" فإن "كمار سينغ" مالك أراضي جغديشبور، قاد حركة التذمر والعصيان ضد البريطانيين هناك، حيث أنه لم يخطط أبدا في المشاركة في هذه الثورة، إلا انه لم يتمالك نفسه في الانضمام إليها بعد أن وصلت هذه الثورة إلى أراه (Arrah) من دينابور (Dinapur).

ومن الخيانة إذا لم أذكر السيدة العظيمة "راني لكشمي باي" التي قادت هذه الثورة في مدينة جانسي، لأن "اللورد دال هوسي" (Lord Dalhousie) الحاكم العام منع ابنها الذي تبنته من تولي أمور حكومة الولاية بعد وفاة زوجها وحاولت أن تستعيد حكومتها بكل وسيلة ولكنها عندما أدركت عزم البريطانيين تأهبت لهم بالمرصاد وانضمت إلى هذه الثورة فكافحت وحاربت البريطانيين حتى لقيت حتفها ودرج اسمها بحروف ذهبية في سجل التاريخ.

كما أن الثورة لم تنحصر أبدا في هذه المراكز الهامة فقط بل امتدت إلى جميع الجيوش الموجودة في بنغال وبعضها في بومباي، علما بأن كتيبة مدراس هي الوحيدة التي لم تشترك في هذه الثورة. كما أن الإنجليز كانوا يحاولون تحطيم جميع أديان المجتمع الهندي من أجل إنجاز مشروعهم الديني المتمثل في إجبار الهنود المسلمين والهندوس على اعتناق الديانة المسيحية. ومن الواضح أن خدمات جيوش الشركة بدأت تظهر فيها بعض الاضطرابات نظرا للديانات التي كان ينتمي إليها الجنود الهنود، وبالمقابل وافقت الحكومة الإنجليزية طلبات هؤلاء المتمردين وذلك بتوفير التسهيلات المناسبة لهم بالعيش طبقا لنماذج طبقاتهم وتعليمات دياناتهم، على ألا يقوموا بتمديد عملياتهم العسكرية في أرجاء الهند فحسب بل في الدول الأخرى من العالم أيضا. ''فان علامات عدم الارتياح والاستياء والغضب بدأت تظهر منذ عام ١٨٢٤م، وذلك عندما صدر مرسوم رسمي من قبل الحكومة الإنجليزية يقوم

بأمر الكتيبة رقم ٤٧ في باراك بور (Barrackpur) بالسير نحو بورما (Burma)، علما بأن نظام الطبقات في الديانة الهندوسية ينص على خروج الشخص من الانتماء إلى الطبقة التي ينتمي إليها بعد عبوره للبحار. لذا، أعرض الجنود الهنود عن الإذعان لهذه الأوامر. فتم تسريح هذه الكتيبة وإعدام كل من تورط في عملية عدم تطبيق هذه الأوامر الصارمة. وقد تأثرت المشاعر الدينية للجنود الهنود الذين شاركوا في الحملة العسكرية ضد أفغانستان بشكل أساسي أيضا"[١].

إن الدعايات التي كانت تمارسها الحكومة الإنجليزية بشأن نشر الديانة المسيحية لعبت دورا هاما في نشوب هذه الثورة بين الجنود. حيث أن بعض الهيئات التبشيرية كانت تقوم بأعمالها في بعض الكتيبات وبكل حرية والذي أظهر بعض غضب الجنود الهنود. كما أن نبأ مزج دقيق العظام في دقيق القمح والأمر باستعمال الأسلحة الجديدة التي استخدمت فيها شحوم الخنازير قد عزز عصيان وتمرد الجنود ضد الحكومة الإنجليزية، حيث أصبحوا يشعرون بالخطر الدائم على دياناتهم. وأن جميع الخطوات التي اتخذتها الحكومة الإنجليزية منذ ذلك الحين لم تكن إلا للقضاء على الديانة الهندوسية ومبادئها وإهانة المسلمين بشتى الوسائل.

إن سخط الثوار واستيائهم على الإنجليز لم يكن نتيجة للمشاكل العسكرية والدينية فقط، حيث أن بعض المسؤولين الإنجليز حذروا "دالهاوسي" (Dalhousie) من ظهور نتائج وخيمة بسبب سياسته الخاطئة التي كان يمارسها، إلا أنه تمادى في ذلك و لم يصغ إلى تلك التحذيرات الموجهة إليه.

---

[١] INDIA'S STRUGGLE FOR INDEPENDENCE BY BIPAN CHANDRA Page No. 33
PUBLISHED BY NIKING IN 1988

وقد شارك المدنيون المتمردون مع الجنود في هذه الثورة وخاصة في الأقاليم الواقعة في الشمال الجنوبي من البلاد ومنطقة أوده، حيث تم تحطيم المباني الحكومية، ونهب خزائن الدولة، وأشعلت النيران على المحاكم والبيوت والمؤسسات الحكومية، وفتحت أبواب السجون لأن المدنيين المتمردين كانوا يتمتعون بأساس اجتماعي وطيد يشتمل على جميع طبقات الشعب.

إن ظهور هذه الثورة الشعبية ضد الحكومة الإنجليزية كانت طبيعية، نظرا لنظام الحكم البريطاني السيئ الذي أثر سلبا على مصالح جميع طبقات المجتمع الهندي. كما أن الضرائب الكبيرة التي فرضتها الحكومة الإنجليزية على الفلاحين أثرت على أوضاعهم بشكل سيئ للغاية. حيث أن شركة الهند الشرقية البريطانية لم تكن ترغب إلا في الحصول على المصالح الذاتية، بغض النظر عن تفاقم أوضاع هؤلاء الفلاحين وإصابتهم بالفقر والمشاكل العديدة الناتجة عن تلك السياسات الخاطئة.

كما سبب الحكم الإنجليزي مشاكل عديدة للفنانين وأصحاب الحرف اليدوية حيث أن السياسة الإنجليزية كانت لا تهتم بالحرف اليدوية الهندية والصناعات المحلية بل كانت تسعى في ترويج بضائعها فقط، حيث أن معظم الفنانين بدأوا يعانون من البطالة وأصبحوا يبحثون عن عمل بديل في سبيل كسب القوت. كما كان بعض المسلمين والهندوس يشعرون بأن الإنجليز يحاولون تحطيم عقائدهم الدينية وثقافتهم تحطيما جذريا من خلال السياسات الخاطئة التي كانوا يمارسونها.

وبالرغم من عدم وجود أية خطة مسبقة لتنظيم هذه الثورة، فإن هذه الثورة بدأت تتخطى مراحل متقدمة، وذلك بترتيب صفوف رجال الثورة بعد أن قام الثوار بالسيطرة على مدينة دلهي، حيث بدأ بعض أمراء الولايات المجاورة بمد أيديهم لمساعدة هذه الثورة والانضمام إليها تدريجيا. وقد

اعترفت جميع الصفوف المتمردة والمساهمة في هذه الثورة بقيادة شاه بهادور ظفر الثاني لها. ولمدة سنة كاملة حاولت الثورة أن تواجه الحكم الإنجليزي بكل صلابة إلا أنها كانت تفتقر إلى الأسلحة والمعدات الحربية لمقاومة العدوان الإنجليزي ، لأن كل ما قد استولى عليه هؤلاء الثوار من أيدي الإنجليز لم تكن لتساعدهم في مواصلة المشوار طويلا. لذا، اضطروا إلى مواجهتهم بالسيوف والخناجر أيضا، فيما كان الجيش الإنجليزي يمتلك أحدث أنواع الأسلحة النارية نحو الدبابات والمدفعيات والمدرعات والصواريخ الخ. وكان يتفوق عليهم في الفنون الحربية أيضا.

كما استطاع هؤلاء الثوار أن يجدوا تأييد معظم الشعب لهم إلا أن الدولة بأكملها لم تقف وراءهم، حيث أن التجار والعباقرة وبعض الحكام الهنود حاولوا إحباط هذه الثورة وتأييد البريطانيين لاعتقادهم بأن الشركة ستحافظ على مصالحهم الذاتية، فقاموا بعقد اجتماعات عديدة في مدينة كلكتا وبومباي من أجل إخماد نار هذه الثورة وإخفاقها، ورغم ذلك كله فإن الثوار استطاعوا بفضل جهودهم التي بذلوها في الصمود أمام الجيش البريطاني ومقاومتهم بكل عزيمة وإصرار.

كما أن أكثر من نصف الجنود الهنود لم يؤيدوا هؤلاء الثوار بل قاموا بمحاربتهم أيضا. كما لم يستطع معظم الثوار إدراك أهداف ومقاصد هذه الثورة فظهر عدم ثقة "بهادور شاه ظفر الثاني" و"زينت محل" بهؤلاء الثوار. لذا، حاول كل منهما بدء المحادثات مع البريطانيين لضمان سلامتهم، كما أن معظم الأقطاعيين (Taluqdar) حاولوا الحفاظ على مصالحهم الذاتية فقط. وقام بعضهم بتغيير صفوفهم مرارا وتكرارا مثل مان سينغ (Man Singh). ولعدم وجود استراتيجية سياسية أو صورة واضحة بشأن المستقبل، فإنهم لم يتمكنوا من مواصلة هذه الثورة، وبالتالي تبديل هذا النظام

السياسي. ورغم كل ذلك فإن الثوار حاولوا ما في وسعهم من أجل تحرير البلاد، حيث لقي الآلاف منهم مصرعهم، وسقطت مدينة دلهي في بداية الأمر وذلك في ٢٠ سبتمبر ١٨٥٧م بعد حروب استمرت أكثر من ستة أيام وألقي القبض على زعيم الثورة "بهادور شاه ظفر الثاني" ونفي إلى "رانجون" عاصمة بورما. وبذلك استطاعت الحكومة الإنجليزية أن تحطم هذه الثورة وتتغلب وتسيطر عليها تدريجيا، لأن دلهي كانت تعتبر المركز الوحيد لمواصلة هذه الثورة ضد الإنجليز. وبعدها استطاع الجيش الإنجليزي من السيطرة على كل مركز تلو الآخر، وقتلت جانسي راني أي ملكة جانسي في ١٧ يونيو ١٨٥٨م. ''حيث قال الجنرال (Huge Rose) الذي تغلب عليها: "هنا قضينا على السيدة التي كانت تعتبر واحدة من أبطال هذه الثورة"''[١].

كما أن "نانا صاحب" رفض الاستسلام وهرب أخيرا إلى نيبال وذلك في بداية عام ١٨٥٩م ، وبالرغم من تقدم سن "كنوار سينغ" فإنه كان لا يزال يكافح ضد البريطانيين حتى لقي مصرعه في ٩ مايو ١٨٥٨م، أما "تانتيا توبيه" (Tantia Tope) الذي قاد الحروب مثل العصابات ضد البريطانيين حتى إبريل ١٨٥٩م قد خانه أحد أصحاب الأراضي، فألقي القبض عليه وقتل على أيدي البريطانيين.

ولما أخفقت هذه الثورة صب الإنجليز على أهل الهند جام غضبهم وانتقموا منهم انتقاما شديدا وبطشوا بالهنود شعبا وأمة وقاموا بمذابح عديدة جددت ذكرى مذابح جنكيز وهولاكو. ولأنه قد تزعم المسلمون هذه الثورة. لذا، فقد اضطهد المسلمون عقب فشلها وصودرت أملاكهم وهدمت بيوتهم ومساكنهم أو أصبحت ثكنات للجيوش وشرد المواطنون

---

[١] INDIA'S STRUGGLE FOR INDEPENDENCE BY BIPAN CHANDRA Page No. 39
PUBLISHED BY NIKING IN 1988

ورحب الهندوس بالاستعمار فتسلموا الوظائف وقتلوا المسلمين وادعوا أنه قد آن لهم الأوان للأخذ بالثأر والانتقام، وحصلوا على الثروة، واشتروا الأراضي حتى لم يبق للمسلمين سوى ٥% من الأراضي التي كانوا يملكونها من قبل، وظهرت خطة التفرقة بين المسلمين والهندوس، ''وقد صرح اللورد"النبرو" بذلك حيث قال: إنه لا يمكن الإغضاء عن حقيقة جلية وهي أن الأمة الإسلامية معادية لنا بطبيعتها، فالبرنامج الحقيقي عندنا أن نبتغي مرضاة "الهنادك"''[1].

وبدأ الإنجليز يتبعون سياسة خاصة على أسس قوانين مدروسة وخطط مرسومة، علما بأن الهدف من اتباع هذه السياسة لم يكن منحصرا إلا على تقليم أظافر المسلمين والقضاء على معنوياتهم وإحباط كل أمل يراود نفوسهم في استرجاع واستعادة أمجادهم الماضية، فاتبعوا كل السبل والطرق المؤدية إلى تنفيذ مآربهم. وحاولوا إضعاف المسلمين من الناحية الاقتصادية بشتى الوسائل فضاعفوا ديونهم وساعدوا الهندوس على انتزاع أملاكهم، وسدوا في وجوههم كل الوظائف ووضعوا العراقيل المادية أمام التجار.

وامتنع المسلمون من إرسال أبنائهم وإلحاقهم بالمدارس الغربية، التي أنشأها الإنجليز على أسس النظام الغربي، ليحولوا بين الشباب المسلم وبين التربية في هذه المدارس خوفا على عقليتهم وروحهم ودينهم، فازدادوا بعد هذا الاحتلال شدة في هذه المقاطعة لأجل الحفاظ على دينهم وروحهم بالبعد عن هذه المدارس. ومن هذا المنطلق. ''تأخر المسلمون تأخرا واضحا في التعليم عن زملائهم في الوطن، وأصيب المسلمون بنكسة ظاهرة في كل

---

[1] عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد ص٢٧ (المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية -مصر- ١٩٧٣م).

نواحي حياتهم، وأحسوا بالخيبة، وشعروا بروح الاضطهاد من الحاكم القوي أو بروح انتقامه منهم"[1].

وأصبح المسلمون أبغض الناس في الهند للحكومة الإنجليزية فقتل الإنجليز ألوفا من المسلمين، ونصبوا المشانق في الشوارع وصلبوا عددا كبيرا من الناس، فدفع المسلمون ثمنا باهظا لجهادهم، وخصهم الإنجليز بالقتل والبطش الشديد، وأصبح نصب عينيهم أن يستأصلوا كافة المسلمين ويبيدوهم عن آخرهم، فحقا ضاقت الأرض بما رحبت عليهم، ويلقي أحد المؤرخين المعاصرين الضوء على هذه المأساة قائلا:

"إن سبعة وعشرين ألفا من المسلمين قتلوا شنقا، واستمرت المجزرة سبعة أيام متواليات لا يحصى من قتل فيها"[2].

"هذا وقد بدأ الحكام الإنجليز ينظرون إلى المسلمين بنظرة الشك والأحقاد وحرموهم من الوظائف الحكومية، واستغل الهندوس هذه الفرصة ونجحوا في الحصول على الوظائف الحكومية وبذلك وصل المسلمون إلى الدرك الأسفل من الانحطاط السياسي"[3].

إن فترة ما بعد هزيمة المسلمين في ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م كانت فترة يأس واضطهاد مرير، والتي يمكن اعتبارها فترة البؤس والركود والاستسلام. ولكن مع ذلك، كانت هناك ومضات قليلة تلمع وسط هذا الظلام التي كانت تنبعث من قلوب المجاهدين المسلمين الذين ظلوا مستمسكين بروحهم النضالية فكانوا بمثابة الشوكة في جنب المستعمر، وكانوا يرفعون فكرة الجهاد في سبيل الله ضد المغتصبين، فكان الإنجليز

---

[1] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص (مكتبة وهبة –مصر– ١٩٦٤م).

[2] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، ص١٥٦ (المجمع الإسلامي العلمي –لكناو– ١٩٩٨م). نقلا عن
LATE REBELLION IN INDIA AND OUR FUTURE POLICY BY HANILTON THOMAS.

[3] ثقافة الهند، المجلد رقم ٤١، العدد ٢ ص٤٣، عام ١٩٩٠م نقلا عن
INDIAN MUSSALMAN BY W W HUNTER.

يرتعشون من فكرة الجهاد الذي أفتى بعض العلماء بوجوبها من قديم، ولذلك كان الإنجليز يعملون على أخذ فتاوي من علماء آخرين بأن الجهاد في حالة عدم تكافؤ الفرص غير واجب، بل عبث ومضيعة وضرر على المسلمين.

ومما لا شك فيه أن ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م قد أثرت على حياة المسلمين الثقافية والعلمية إلى أقصى الحد، فكان تأثيرها عميق الجذور وبعيد المدى، فقد قضى الحكم الإنجليزي الاستعماري على النظام الإسلامي للتعليم والتربية وقام بتنفيذ نظام جديد للتعليم لا يراعي إلا مصالح الحكومة الإنجليزية وقام الإنجليز بقتل كثير من العلماء ونفي عدد كبير من المثقفين البارعين إلى جزر "إندمان"، وهذا كله لعب دورا بارزا في تخلف المسلمين في شتي المجالات بما فيها المجالات العلمية والثقافية والاقتصادية في الهند. كما كانت هذه هي أسباب تخلف المسلمين في مجالات الثقافة والعلم والاقتصاد، حيث منعوا من تولي المناصب الحكومية ومن المشاركة في سياسة البلاد. يقول الأستاذ مسعود عالم الندوي:

> ”ومن شر ما فعلت بهم الحكومة البريطانية أنها سدت في وجوههم أبواب الرزق في دواوينها، وصادرت أملاكهم وتركتهم حيارى لا يدرون ماذا يفعلون وكيف يعيشون، وكادوا يصبحون عالة على غيرهم يتكففون ولا يجدون ما يسدون به رمق حياتهم“[1].

[1] مولانا مسعود عالم الندوي، تاريخ الدعوة الإسلامية في الهند ص١٨٤ (مركزي مكتبة إسلامي -دهلي- ١٩٧٧م).

الباب الثاني:

مساهمة دار العلوم ديوبند في حركة تحرير الهند

الفصل الأول:

تأسيس دار العلوم ديوبند

الفصل الثاني:

حركة المكاتيب الحريرية
(حركة ريشمي رومال)

الفصل الثالث:

جمعية علماء الهند

تأسيس دار العلوم ديوبند

شارك العلماء في ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، مشاركة فعالة فقد حملوا السيوف والبنادق مع إخوانهم الهندوس. (وقد ذكرنا في الباب الأول عن هؤلاء العلماء)، ولكنني في هذا الصدد، أريد أن ألقي نظرة على ما بذله العلماء الذين قاموا فيما بعد بفتح مدرسة دار العلوم بديوبند.

فعندما بدأت نيران هذه الثورة تلتهب في مدينة دلهي، فإن هؤلاء العلماء كانوا ينتظرون فرصة للقيام بدور هام في سبيل الحصول على الاستقلال من براثن الاستعمار الأجنبي الغاشم، فانتهزوا هذه الفرصة الثمينة وبدأوا الخوض في غمارها.

اجتمع هؤلاء العلماء ومنهم الحافظ ضامن والحاج إمداد الله ومولانا محمد وغيرهم وبحثوا سبل قيامهم بثورة مباغتة ضد الإنجليز، ولكن بعض العلماء كانوا لا يؤيدون المشاركة في هذه الثورة لعدم وجود أسلحة تعادل ما في حوزة القوات الإنجليزية، ونظرا لذلك تم استدعاء مولانا محمد قاسم النانوتوي ومولانا رشيد أحمد الغنغوهي، فحاولوا حل هذه القضية متبعين ومقتدين بأسوة رسول الله الكريم، واستعدوا للخوض في ميادين الحرب ضد الإنجليز، وتجمع المجاهدون حولهم من كل ناحية وجمعوا كل الأسلحة الموجودة لديهم.

وبدأت عملياتهم الحربية والقتالية من مدينة "تانه بون" التابعة لمظفر نغر القريبة من ديوبند، وبفضله تعالى استطاعوا الاستيلاء عليها من أيدي البريطانيين، فأقاموا فيها الحكم الإسلامي. وانتشرت هذه الأنباء في جميع بقاع الهند، فتحركت القوات الإنجليزية التي كانت في مدينة "سهارنبور" إلى مدينة "شاملي"، وعلم العلماء ذلك ففكروا كثيرا في طريقة مقاومة هؤلاء

الجنود التي تمتلك أحدث أنواع الأسلحة والمدافع، ولا يوجد في حوزتهم سوى المدافع والبنادق القديمة. وخطرت على بال مولانا رشيد أحمد الغنغوهي فكرة رهيبة حاول أن يغامر بها، فقام هو وأتباعه الذين لم يكن يزيد عددهم على أكثر من أربعين مجاهدا بالاختفاء وراء الأشجار في انتظار مرور هذه القوة البريطانية الزاحفة فانقضوا عليهم وأطلقوا عليهم الرصاص، ففر الإنجليز تاركين مدافعهم وأسلحتهم فاستولى عليها مولانا رشيد أحمد وحملها إلى الحاج إمداد الله، فأثار هذا العمل الجريء شعلة الحماس في نفوس المجاهدين.

فتقدم المجاهدون نحو مدينة شاملي وقاموا بفتحها بعد معركة حامية الوطيس جرت بينهم وبين القوات الإنجليزية، فرفرفت راية الإسلام في بقاع شاملي أيضا. واستشهد في هذه المعركة قائد المسيرة الحافظ محمد ضامن. ورغم ذلك فإن أنباء الانتصارات قد شدت من أزر الناس فاجتمعوا حول هؤلاء المجاهدون بصورة جماعية. ولكن أنباء سيطرة الإنجليز على مدينة دهلي قد لعبت دورا هاما في إحباط روح المجاهدين فقل عددهم، و لم يجدوا حلا غير إلقاء السلاح أمام أعداءهم، الذين كانوا يبحثون عنهم ويطاردونهم للانتقام منهم، فهاجر مولانا إمداد الله إلى مكة المكرمة، وألقي القبض على مولانا رشيد أحمد الغنغوهي وظل في السجن فترة تزيد على ستة أشهر واختفى مولانا محمد قاسم النانوتوي حتى صدر قانون العفو العام.

وبعد أن استطاعت الحكومة البريطانية أن تسيطر على حركة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، بدأ العلماء يفكرون وبكل جدية عن أفضل حل لهذه الأزمة فاتفقوا على ضرورة العمل على إنقاذ أبناء المسلمين من الانحلال في الثقافة الغربية والتأثر بحضارتهم وعملياتهم التبشيرية، فأدركوا ضرورة اللجوء إلى تربيتهم تربية إسلامية بفتح مراكز دينية خاصة لهم، وذلك كبديل

للخوض مباشرة في الحروب ضد البريطانيين فقامت جماعة نحو حاجي إمداد الله بالهجرة إلى مكة المكرمة وقامت جماعة أخرى بقيادة مولانا محمد قاسم النانوتوي ومولانا رشيد أحمد الغنغوهي وبعض العلماء الآخرين باللجوء إلى ديوبند عام ١٨٦٢م، والقيام بفتح مدرسة دينية باسم دار العلوم ديوبند للحفاظ على المبادئ الإسلامية السمحة.

لقد شهد مسلمو الهند بعد انتهاء حكومتهم التي امتدت قرابة ٨٠٠ سنة، ونتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، المؤلمة التي أدت إلى تأخر المسلمين في جميع مراحل الحياة، علما بأن هذه النتائج الوخيمة التي شهدها المسلمون في الهند كانت نتيجة لابتعادهم عن الإسلام وتعاليمه السمحة تدريجيا. حيث أن البريطانيين قد نزعوا الحكومة الهندية من المسلمين، لذا كانوا يعتبرونهم أعداءهم الأصليين، ونتيجة لذلك كانوا يتخذون جميع تلك السياسات التي كانت تضيف العار والذل والهوان إلى سمعة مسلمي الهند، واعتبروهم قوادا وزعماء لثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، حيث حاولوا ما في وسعهم أن يقضوا على هذا الدين العريق في هذه البلاد بكل طرق ووسائل، فبدأوا يتدخلون في شؤونهم الدينية أيضا ويقومون بفتح مدارس على نمط المدارس الغربية. يقول هنتر:

> ''لم يكن في مناهج تعليمنا أية مساحة لتعليم الدين الإسلامي، فقد كنا نخالف جميع مصالح المسلمين''[1].

وتم مصادرة جميع الأوقاف الإسلامية التي كانت تقوم بتولي مهمة رعاية المدارس الإسلامية في الهند منذ القدم. حيث كانت الحكومة الإنجليزية تحاول نشر المسيحية في أبناء البلاد بشتى الطرق، حتى تسلم من ظهور أية اعتراضات على حكومتها من الناحية الدينية حيث اتبعت خطة

---

[1] سيد محبوب رضوي، تاريخ دار العلوم ديوبند الجزء الأول ص١٣٩ (إداره اهتمام دار العلوم ديوبند ١٩٧٧م)

تعليمية سهلت مهمة التنصير فقد استخدمت الكنيسة والمدارس وسيلة للتنصير الجماعي. ولكن رغم جميع تلك التيارات المعادية للإسلام في الهند، إلا أن الله تعالى كان يريد أن يبقى نور الإسلام في الهند، فأحس بعض علماء المسلمين بانهيار القيم الأخلاقية والابتعاد التدريجي عن تعاليم الدين في مسلمي الهند، فرفعوا لواء الإصلاح والحركة الإسلامية في الهند ووصلوا إلى النتيجة بضرورة بناء المدارس الإسلامية لصيانة مسلمي البلاد من جميع أنواع الاجتياح الغربي المتمثل في نشر تعاليم المسيحية والبدأ بالأعمال التبشيرية في أرجاء البلاد المعمورة. كما أن خوف المسلمين وقلقهم على دينهم من الحكومة البريطانية بعد فشل الحركة لأنها بدأت تقوم بفتح مدارس حديثة غربية وتقوم بتشجيع المبشرين لإبادة الدين الحنيف ومصادرة جميع الأوقاف التي كانت تعتمد عليها المدارس الإسلامية بدأ يشعرهم بضرورة فتح مدارس تعتمد على عامة الشعب، فخاض بعض العلماء الذين اشتركوا في حركة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م في هذا الميدان العملي لتربية أبناء المسلمين والاحتفاظ عليهم من الانحلال في الحضارة الغربية.

"وفي هذه الحالة، تم اتباع طريقة خاصة للسير بموجبها متمثلة في إيقاظ المشاعر الدينية في أبناء البلاد، والقيام بفتح مدرسة دينية حتى يتم الحفاظ على الدين الإسلامي من الانتشار والضياع، ومن أبرز الذين قاموا بتأييد هذه الفكرة هم مولانا محمد قاسم النانوتوي ورفقاءه وخاصة مولانا ذو الفقار علي ومولانا فضل الرحمن وحاجي محمد عابد، وقاموا بالوصول إلى أنه يجب فتح هذه المدرسة الدينية في قرية ديوبند بدلا من مدينة دلهي"[١].

ونظرا للجهود التي بذلها هؤلاء العلماء المتواصلة تم افتتاح مدرسة دار العلوم عام ١٨٦٧م بدون أي رسميات أو احتفاليات " وبدأت الدراسة في

---

[١] سيد محبوب رضوي، تاريخ العلوم ديوبند، الجزء الأول ص ١٤٩ (اداره اهتمام دار العلوم ديوبند ١٩٧٧م)

مسجد صغير يعرف بمسجد "تشتي" بطالب واحد "محمود الحسن" وأستاذ واحد هو "ملا قاري محمود" تحت شجرة رمان في فنائه عام ١٨٦٧م وتحت إشراف العارف بالله مولانا رشيد احمد الغنغوهي"[١]. وبدأت هذه المدرسة تتخطى مراحل التقدم والازدهار بشكل تدريجي حتى أصبحت تعرف بأزهر الهند في جميع أنحاء العالم. يقول العلامة آبو الحسن الندوي:

"إن جامعة ديوبند إنما هي ليست جامعة دينية فقط، جاز تسميتها بأزهر الهند من كل وجه بل هي تفوق الجامع الأزهر بمصر من بعض الوجوه والنواحي"[٢].

علما بأنه قبل استيلاء الاستعمار الإنجليزي على البلاد كانت المدارس الإسلامية في الهند تعتمد وبشكل كلي على ما كان يوقف لها من قبل الأمراء والملوك والحكام المسلمين أو الإقطاعيين الكبار حيث كانوا يتولون جميع نفقات تلك المدارس وميزانياتها السنوية، إلا أنه وبعد أن سيطرت الحكومة الإنجليزية على زمام البلاد قامت بمصادرة هذه الأوقاف والأراضي بهدف تجفيف منابع الفكر الإسلامي والتعليم الديني للمسلمين في البلاد. فاعتمدت هذه المدرسة وبشكل كلي على جمع التبرعات من جميع شعوب البلاد وأهاليها وبذلك كانوا على اتصال دائم مع جميع قطاعات المسلمين في هذه البلاد. وقد اعترف قادة الإنجليز في الهند بأن استيلاءهم على الأوقاف الإسلامية حرم المسلمين من معاهدهم التعليمية التي تم إنشاءها بجانب المساجد.

وأصبحت هذه المدرسة بمثابة منبع يتجه إليها الطلاب من جميع أرجاء البلاد وكذلك بعض الطلاب من خارجها لينالوا قسطهم من التعليم، وبما أن

---

[١] عبد المنعم النمر،كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ٣٨.

[٢] محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي، دار العلوم ديوبند ص ٨٩.

هذه المدرسة كانت بعيدة عن المجال السياسي في بداية أمرها ''إلا أنه عندما بدأ السر سيد أحمد خان يقوم بمناشدة المسلمين بعدم الانضمام إلى حزب المؤتمر القومي الهندي الذي كان يعارض الحكم الاستعماري، فإن العلماء قاموا بإصدار الفتاوي التي تم التوقيع عليها من قبل أكثر من مائة عالم يتضمن حث المسلمين على ضرورة تأييدهم لإخوانهم الهندوس والاشتراك معهم في حركة تحرير البلاد، وكان مولانا رشيد أحمد الغنغوهي ومولانا محمود الحسن رئيس دار العلوم ديوبند ومولانا عبد العزيز لدهيانوي ومولانا محمد لدهيانوي ومولانا لطف الله عليكرهي وغيرهم من المؤيدين والموقعين على هذه الفتاوي''[1]

كما أن المدارس الدينية التي أنشأها العلماء بعد فشل حركة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، تعتبر بمثابة إشعاع لفكرة الجهاد وإشعالها في قلوب المسلمين حتى بدأ الإنجليز يشعرون بالخوف والرعب من تلك المراكز ويرتعدون من اعتناق المسلمين لفكرة الجهاد فيبذلون قصارى جهدهم للقضاء عليها إلا أن الشعب المسلم بدأ يحتضن تلك المدارس، لتظل تلك المدارس قائمة تقوم بتأدية رسالتها على أحسن وجه.

كما أن الأساس الذي قامت عليه هذه الجامعة يعتبر أساسا فكريا خالصا يتمثل في كون هذه المدرسة تنزل منزلة دعوة تاريخية لإصلاح العقائد ونشر الكتاب والسنة وحركة لصيانة الثروة الإسلامية والاحتفاظ بالثقافة الإسلامية والمسلمين في هذه البلاد وتم اختيار هذه الدعوة والحركة كصورة مدرسة بخصوص ظروف البلاد وأحوال المسلمين في الهند، حيث ورث مؤسس هذه المدرسة هذه الصورة للدعوة الإسلامية والحركة الإصلاحية من الشيخ شاه ولي الله الدهلوي وأسرته.

---

[1] د. محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي أفكار ص٣٨٦ (ترقي أردو بيورو نيودلهي ١٩٨٥م).

يقول العلامة الندوي:

"ومن سمات العلماء المتخرجين في هذه المدارس الدينية البارزة أنهم كانوا طليعة المناضلين لتحرير البلاد وإجلاء المستعمرين من مركز القيادة في هذه الحركة الشعبية القوية، ومنهم انبثقت فكرة النضال ضد الاحتلال في الحقيقة، وقد قاد كثير منهم حركة المقاومة الفعالة والثورات المسلحة بمقدرة وشجاعة فمنهم من قتل شهيدا ومنهم من شنق ومنهم من نفي إلى جزائر أندمان وإلى منفى جزيرة مالطا، ومنهم من قضى شطرا من حياته في السجون والمعتقلات في داخل البلاد وتاريخ حركة التحرير والاستقلال مقترن بتاريخ العلماء والشخصيات الدينية في الهند متداخل فيه بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر"[1]

وقد قال الدكتور أكبر رحماني في كتابة "من عليكره إلى ديوبند" عن مدرسة دار العلوم ديوبند:

"إن ديوبند تعتبر قرية مشهورة واقعة في مديرية سهارنبور وهي مركز هام للدين والأدب ومن أهم شهرتها هي مدرسة دار العلوم ديوبند، حيث أن طلاب هذه المدرسة منتشرون في جميع بقاع العالم، وهي مدرسة قديمة تأسست في أيام الحكومة البريطانية لتكون درعا محافظا للإسلام والحضارة الإسلامية من الانحطاط في أيدي المستعمرين، وقد قدم هؤلاء العلماء تضحيات كبيرة لتحرير البلاد من أيديهم، فنالوا نصيبهم من الأذى والتعذيب وذاقوا مرارة السجن والنفي، فهي ليست

[1] محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي، دار العلوم ديوبند ص ٦٥.

مدرسة بل هي حركة دينية وسياسية تهتم بأمور الدين والإسلام وما يتعلق بالأمور السياسية"[1].

يعرف بأن دار العلوم ديوبند، كانت في بداية أمرها لا تهتم إلا بالتدريس ونشاطات البحث والمناظرة فقط و لم تبدأ بالاهتمام بالأمور السياسية إلا في القرن العشرين، ولكن يجب علينا أن نعرف بأن الجيش يجب أن يتلقى جميع فنون الحرب ومبادئه وأسسه لكي يتقن أساليب الحرب ويصبح مستعدا للخوض في غماره حيث لا يجب إرسال جيش بدون تجهيزه وتمرينه فمثل ما ظهرت حركة شاه ولي الله الدهلوي وعبد العزيز الدهلوي التي قامت بتجهيز وإعداد حركة سيد أحمد الشهيد للخوض في الحرب ضد المستعمرين بكل قوة ونشاط ظهر أثر حركة محمد قاسم النانوتوي ورشيد أحمد الغنغوهي في بداية القرن العشرين على شكل حركة المكاتيب الحريرية بقيادة شيخ الهند محمود الحسن وجمعية علماء الهند.

فكما يعلم الجميع بأن جامعة دار العلوم ديوبند هي أقدم مؤسسة تعليمية إسلامية في الهند وهي معروفة بإسهامها في حركة تحرير البلاد من براثن الاستعمار الإنجليزي الغاشم مساهمة فعالة وكان لها دور بارز ومتميز في إثارة حركة التحرير وإثارة الحقد والكراهية في نفوس الشعب الهندي ضد الإنجليز، ولا تزال هذه الجامعة تؤدي خدمات جليلة لخلق جو الانسجام والوئام فيما بين سكان البلاد، وإصلاح المجتمع الهندي بشكل عام والمجتمع المسلم بشكل خاص عن مظاهر الفساد والدمار وفشو الرشوة والمنكرات والسعي لتبادر المودة والألفة فيما بين المواطنين من المسلمين والهندوس سواء بسواء، كما أن لها فضل كبير في نشر العلوم الإسلامية والتوعية الإسلامية

---

[1] د. أكبر رحماني، عليكره سى ديوبند تك تعليمي سفر نامه ص١١٢ (إيجيوكيشنل أكاديمي إسلام بوره جلغاون مهاراشترا ١٩٩٨م.

وإعداد الدعاة الصالحين والاحتفاظ بالتراث الإسلامي والعلوم الدينية والعقائد الإسلامية والشعائر الدينية السمحة ومتابعة المسيرة الإصلاحية في أحسن تقويم لتعد حقا بمثابة نهضة حضارية عظيمة للمسلمين، وكان أبناء هذه المدرسة يدركون حقا مسئوليتهم تجاه الأمة فقاموا بدور مثالي في قيادة الحركات الإسلامية وإنقاذ الشعب المسلم من الجاهلية والشرك.

حركة المكاتيب الحريرية (حركة ريشمي رومال)

وردت حكايات وروايات عديدة حول هذه المكـــاتيب الحريريـــة، وذلك أن شيخ الهند مولانا محمود الحسن كان يقـــوم بإرســـال المكـــاتيب الحريرية إلى أعضاء جماعته الموالين والمخلصين له ، حيـــث كـــان هـــؤلاء الأعضاء ملتزمين ببدأ أعمال معادية وإنشاء ثورة ضد الحكومة الإنجليزيـــة، وقد تم تحديد وقت محدد ومعين لذلك، ولكن لسوء الحظ ظهر هذا الســـر على الإنجليز، "حيث أن هذه المكاتيب كانت قد جهزت بطريقة خاصـــة، وإذا ما تم سحب بعض خيوط هذه المكاتيب الحريرية لبرز توقيـــع مولانـــا محمود الحسن"[1]. وقد كانت هذه الحركة بمثابة حركة كفاح من أجل تحرير البلاد من أيدي المستعمرين الغاشمين، علما بأنه قبل الحرب العالميـــة الأولى كان العالم منقسما إلى فئتين، وكذلك فإن أبناء البلاد المساهمين في حركـــة تحرير البلاد كانوا منقسمين إلى فئتين، فئة معتدلة وفئة متشـــددة، حيـــث حاولت الجماعة المتشددة أن تستغل انتشار العالم فقامت بتجهيز وإعـــداد برامج يمكن بواسطتها الحصول على تأييد الجماعة المعارضـــة للبريطـــانيين، ومحاولة ترغيبها في شن حملة على الهند والقيام بـــالتمرد علـــى الحكومـــة الإنجليزية في الوقت المناسب لأن الحكومة الإنجليزية المتورطـــة في الحـــرب العالمية الأولى لم يكن بمقدورها مقاومة هذين التيارين الجـــارفين فيصبـــح الطريق أمام أبناء البلاد ممهدا لتحرير البلاد من أيدي المستعمرين، والطريقـــة التي تم اتباعها لإرسال المعلومات كانت المكاتيب الحريريـــة، وكـــان يتـــم استخدام رموز سرية في هذه الرسائل وكانت هذه الرسائل لا يمكن فـــهم محتوياتها إلا بطرق تقنية. كما كان يتم إرسال أبناء البـــلاد إلى كـــل مـــن

---

[1] قاضي محمد عديل، تحريك خلافت ص٦٦ (دهلي ١٩٩٧م).

أفغانستان وتركيا وألمانيا للحصول على التدريبات العسكرية وكان يتم أخذ بعض التبرعات من محبي الوطن لتعزيز هذه الحركة وتوطيد أساليبها.

وشاء الله أن يكون أول تلميذ لدار العلوم بديوبند محمود الحسن زعيما من زعماء الهند في جهادهم ضد القوة المستعمرة حيث أن ''حركة مولانا محمود الحسن شيخ الهند التي عرفت باسم "حركة المكاتيب الحريرية" لأنه اتخذ المناديل الحريرية وسيلة للاتصال بأنصاره من كل مكان ... وقد أدت حركته هذه إلى القبض عليه وهو في الحجاز سنة ١٩١٧م بعد أن اتصل بالقواد الأتراك "أنوار باشا وجمال باشا"وتفاهم معهم على وضع خطة لطرد الإنجليز من الهند إبان الحرب العالمية الأولى''[١]. ''وكان رئيس أساتذة دار العلوم ديوبند مولانا محمود الحسن من كبار الحاقدين على الحكومة الإنجليزية ولا نعرف أحدا بعد السلطان تيبو من يبلغ مبلغه من عداء الإنجليز والاهتمام بأمرهم، وكان من كبار أنصار الدولة العثمانية التي كانت زعيمة العالم الإسلامي، وحاملة لواء الخلافة، وكان من كبار الدعاة إلى استقلال الهند، وتأسيس الحكومة الوطنية الحرة، وكان من الذين ملكتهم بهذه القضية وتفانى فيها، وحاول الاتصال بحكومة أفغانستان ورجال الدولة العثمانية كأنور باشا وغيره. وقد أسرته حكومة الشريف حسين سنة ١٩١٦م في المدينة المنورة وسلمه إلى الحكومة الإنجليزية التي نفته وزملاءه وتلاميذه كمولانا حسين أحمد المدني ومولانا عزيز غل والحكيم نصرت حسين إلى جزيرة مالطا سنة ١٩١٧م ومكثوا هنالك إلى سنة ١٩٢٠م''[٢].

وقد وضع العلامة خطة سياسية للقضاء على حكم الإنجليز بالقوة العسكرية وربما يستغرب من ذلك كل من يعلم بأن الشيخ لم يزل عاكفا

---

[١] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند ص١٢٤.

[٢] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١٦٢ (المجمع الإسلامي العلمي –ندوة العلماء لكناو–١٩٩٨م).

على التدريس طوال حياته سوى الفترة التي قضاها في المنفـــى، حيـــث أن المتحف البريطاني يحفظ الوثائق وتقارير مخابرات الحكومة البريطانية بالكـــامل وتفاصيلها عن هذه القضية التي كانت تعتمد وبشكل كلي علـــى القـــوة واستخدام السلاح للقضاء على الحكم الإنجليزي الغاشم من الهند وبالتالي من شتى أرجاء المستعمرات البريطانية.

ومن أهم أعضاء هذه الحركة هـــم مولانـــا عبيـــد الله الســـندهي والبروفيسور بركت الله بهوبالي وراجا ماهيندر برتاب سينغ وغيرهم. حيـــث قام هؤلاء بتأسيس حزب انقلابي في مدينة كابل التي كانت تمارس أعمالهـــا منذ عام ١٩٠٥م، ومن أهم أهداف هذا الحزب الحصول على تأييد العالم في تحرير الهند ومؤازرة تركيا، لتقوم كل من قوات تركيا وألمانيا بالهجوم علـــى الهند. ''وفي هذا الشأن، تم إرسال وفد مشتمل على ثمانية أعضاء برئاسة كل من مولانا مقبول الرحمن سرحدي وشوكت علي إلى الصين وبورما، فقـــام هذا الوفد بتأسيس إدارة باسم "سيرة" في الصين وقام بإصدار مجلة شـــهرية باسم "اليقين" في كلتي اللغتين الصينية والأردية، التي ساهمت في تعزيز أواصر الصداقة بين أبناء البلاد والشعب الصيني''[1]. وفي عام ١٩٠٩م، قـــام هـــذا الوفد بالسير نحو بورما، وقام هناك بتأسيس منظمة باسم "الأخوة الإنسـلنية" وواصل أعماله بغية تحقيق الأهداف المنشودة إلا أنه بعد فشل هذه الحركة في عام ١٩١٦م، رجع شوكت علي إلى الهند.

كما وصل وفد يشتمل على خمسة أعضاء بقيادة البروفيسور بركـــت الله بهوبالي إلى اليابان، وقام بتشكيل جماعة سميت بـــ"الأخوة الإســـلامية" وقامت هذه الجماعة بإصدار جريدة يومية باللغة اليابانية والإنجليزية، حيـــث كان البروفيسور بركت الله بهوبالي مرتبطا بإحدى الكليات اليابانيـــة. وتم

---

[1] مولانا عبد الرحمن، تحريك ريشمي رومال ص١٣٨ (دهلي ١٩٧٠م).

إرسال وفد إلى فرنسا بقيادة تشودهري رحمت علي بنجـــابي، وبعدهـــا تم إصدار حكم يتضمن ضرورة توجيه البروفيسور بركت الله إلى باريس، فقـلم بإصدار جريدة يومية باسم "الانقلاب". وتم إرسال وفد مشتمل على ســبعة أعضاء إلى أمريكا بقيادة هرديال سينغ، ''وطلب من البروفيسور بركــت الله وتشودهري رحمت الله بالسير إلى أمريكا من جهاتهم لمساعدة هرديال سينغ، وبعد وصولهم إلى هناك قاموا بتأسيس جماعة باسم "جماعة غـــــدر" وقـــام البروفيسور بإصدار جريدة يومية باسم الجماعة''[1]. كما قام راجا مـــاهيندر برتاب سينغ بأعمال هامة في برلين حيث قضى هناك فترة تزيد على أكـــثر من ثلاث سنوات، وبسبب جهوده اتحدت كل من ألمانيا وتركيا. وتم إرسال وفد بقيادة متهرا سينغ والدكتور خوشي محمد (مرزا محمد علي) إلى روســيا أيضا، ''ونظرا لهذه المساعي تم تشكيل حكومة هندية مؤقتة في كابل وذلـك في عام ١٩١٥م، وكان رئيس هذه الحكومة راجا ماهيندر برتاب سينغ، وتم تعيين البروفيسور بركت الله كرئيس للوزراء، ومولانا عبيد الله الســـــندهي كوزير للخارجية''[2].

ولتقوية القوات العسكرية في الهند، وإلحاق المتطوعـــين في مراكـــز التجنيد، تم إنشاء مراكز عديدة وذلك في كل من بـــــاني بـــت وراندير (غوجرات) ولاهور ودين بور وكراتشي وأتمان زي وغير ذلك. كما كـــان لهم مكان خاص لتخزين الأسلحة في راجستان، ''وكان بعض أعضاء حزب الانقلاب أعضاء معتمدين في هيئة الاستخبارات المركزية، الذيـــن كـــانوا يقومون بنقل الأخبار السرية والهامة إلى المركز ويقومون بتوطيـــد أواصـــر الصداقة مع رجال القوات أيضا، ولهذا الغرض، كانت هناك جماعة خاصـــة

---

[1] مولانا عبد الرحمن، تحريك ريشمي رومال ص١٣٨ (دهلي ١٩٧٠م).

[2] قاضي محمد عديل، تحريك خلافت ص٦٦ (دهلي ١٩٩٧م).

باسم المخلصين أيضا"[1]. وقد كانت هناك مراكز هامة لهذا الحزب في بعض مدن دول العالم نحو المدينة المنورة والقسطنطينية وأنقرة وبرلين واستنبول وذلك لتحريض بعض الدول على إشعال نار الحرب ومن أجل الحصول على التأييد المعنوي والدعم العسكري منها، علما بأن المركز الرئيسي لهذا الحزب كان يقع في أفغانستان. "وطبقا للبرنامج الذي تم تخطيطه فإنه كان على القوات العسكرية الألمانية والتركية أن تقوم بالهجوم على الهند عبر طريق مدينة كابل والوصول إلى مدينة كراتشي، ومن الجانب الآخر، أن تسير القبائل السعودية إلى منطقة بشاور وتسير قبائل غزني وقندهار إلى منطقة كوئته، وتسير القبائل التي تعيش في المناطق الجبلية إلى منطقة أوكي"[2]. وطبقا للبرنامج كان على جميع أبناء البلاد المخلصين أن يقوموا بالتمرد والثورة ضد الحكومة الإنجليزية، ويخرج العساكر الهنود المخلصون للبلاد للقيام بعمليات التدمير، وتعطيل نظام السكك الحديدية، وهدم المصانع والمنشآت، والقيام بجميع أنواع هدم المصالح البريطانية في جميع أنحاء البلاد، وبذلك كان سيتم بدأ الثورة ضد الحكومة، لتصبح الحكومة غير قادرة على السيطرة على الحرب من الجهتين. "ولهذا الغرض النبيل تم تشكيل الجنود والعساكر باسم "جنود الربانية" بقيادة مولانا محمود الحسن بالإضافة إلى مولانا عبيد الله السندهي وغاندي ومولانا محمد علي ومولانا شوكت علي ومولانا أبو الكلام آزاد"[3]. كما تم تحديد تاريخ إشعال نار الثورة وذلك في ١٩ فبراير ١٩١٧م. وبما انه كان يتحتم على القوات التركية والألمانية أن تجتاز أفغانستان لتصل إلى الهند، وكان هؤلاء المخلصون لا يريدون الاشتباك مع الحكومة الأفغانية في أية حروب، لذا كان مولانا محمود الحسن يرغب في

---

[1] خالد هندي، ريشمي رومال تحريك ص٥٧ (مجلة هدى دائجست دهلي فروري ١٩٦٨).

[2] مولانا عبد الرحمن، تحريك ريشمي رومال ص٧٣ (دهلي ١٩٧٠م).

[3] شهباز حسين، مجلة آج كل ص٤٢، دهلي جون ١٩٦٩م.

أن يحصل على معاهدة بين أفغانستان وتركيا من أنور باشا ويقوم بـللتصديق عليها من قبل الحكومة الأفغانية ثم يقوم بإشعار الحكومة التركيـــة بذلـــك. ونظرا لذلك كان مولانا يريد أن يسافر إلى تركيا، إلا انه ولســـوء الحـــظ استطاع الإنجليز أن يدركوا خطته، فخرج مولانا محمود الحسن مع بعـــض رفقائه إلى الحجاز، ''وفي مكة المكرمة استطاع مولانا أن يقابل الحاكم المقيم في مكة المكرمة ويحصل على تعاونه وحصل على ثلاثة رسائل مـــن قبلـــه، وكانت من بينها رسالة إلى مسلمي الهند بشأن إشعال نار الجـــهاد ضـــد الحكومة الإنجليزية والتي ذاع صيتها باسم رسالة غالب. وكان المقصود مـــن تلك الرسالة نشرها بين القبائل المستقلة في الهند وأفغانستان لكي تزيد هـــذه الرسائل مدى الاعتماد بين أبناءها في مواصلة هذه الحركة، أما الرسالة الثانية فكانت عبارة عن رسالة إلى حاكم المدينة بصري باشا ليقوم بكل ما يستطيع به من أجل إرسال مولانا إلى اسطنبول بكل سلامة، أما الرســـالة الثالثـــة فكانت باسم أنور باشا ليقوم بسد جميع احتياجاتهم''[1]. والتقى في المدينـــة المنورة بوزير الدفاع التركي أنور باشا وحاكم سوريا جمال باشا، وكتـــب أنور باشا أيضا بضعة رسائل للحث على الجهاد التي عرفت بخطوط أنـــور (أنور نامه) وكان فيها الالتزام بضرورة مساعدة هذه الحركة . ''وقد اخـــذ مولانا محمود الحسن رسائل من أنور باشا وجمال باشا في تأييد قضية الهنـــد وكفاحها ضد الانجليز وحث الرعايا التركية على مساعدة مولانـــا محمـــود الحسن وقد دسها أصحاب الشيخ في جوف ألواح صندوق خشبي ومـــلأه بقماش الحرير وإرساله إلى الهند حيث وصل إلى أصحابه ومن هنا اشـــتهرت القصة بالمكاتيب الحريرية''[2].

---

[1] مولانا سيد حسين أحمد المدني، نقش حيات المجلد الثاني ص ٢١٤ (ديوبند ١٩٥٤م).

[2] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١٦٢ (المجمع الإسلامي العلمي –ندوة العلماء لكناو– ١٩٩٨م).

وبعد أداء فريضة الحج قام مولانا محمود الحسن بإرسال الرسالة الخاصة بالحث على الجهاد إلى شبه القارة الهندية بواسطة مولانا محمد ميان أحد أعزاء مولانا قاسم النانوتوي. ورغم المحاولات العديدة التي بذلها قسم الاستخبارات المركزية الإنجليزية فإن هذه الرسالة وصلت إلى القبائل بكل سهولة ويسر، كما ساهمت منظمة حزب الله التي أنشأها مولانا أبو الكلام آزاد، في نشر هذه الفتوى، وبذلك أطلق على الهند اسم دار الحرب، وهي من إحدى عوامل ظهور حركة الهجرة، والتي كانت تهدف بأن يقوم معظم أبناء الهند بالهجرة إلى أفغانستان لتعزيز الحركة الانقلابية المسماة بالمكاتيب الحريرية والمشاركة فيها. ''وتم وضع المعاهدة التي جرت بين أفغانستان وتركيا في صندوق خشبي بصورة محكمة وتم إرسالها إلى الهند بإبلاغ مولانا هادي حسن وحاجي شاه بخش، ليتم إرسالها إلى محمد نبي الذي تم إرشاده بضرورة إرساله إلى حاجي نور الحسن الدهلوي الذي كان عليه أن يقوم بأخذ صور عديدة للرسالة التي تحث على الجهاد ويقوم بإرساله إلى مختلف المراكز ويقوم بإرسال المعاهدة التي جرت بين أفغانستان وتركيا إلى أفغانستان''[1].

ولكن إرسال هذه الرسائل من الحجاز إلى أفغانستان لم يكن سهلا، حيث استطاع قسم الاستخبارات المركزية الإنجليزية القيام بإيقاف هذا المشروع، وعندما وصلت السفينة البحرية إلى ميناء بومباي، قامت الشرطة بإجراء تفتيش شامل ودقيق على السفينة، ولكن عند عدم حصول الشرطة على أية شيء قامت بإلقاء القبض على مولانا هادي حسن وخليل أحمد ووضعتهم في سجن مدينة نيني تال. وقامت الهيئة السرية بتفتيش بيت مولانا نبي في مدينة مظفر نغر، وكذلك بيوت حاجي نور الحسن ومرزا أحمد

---

[1] مولانا عبد الرحمن، تحريك ريشمي رومال ص١٩٤ (دهلي ١٩٧٠م).

المصور أيضا. ولكن رغم ذلك فإن الشرطة لم تجد شيئا. وتنقلت هذه الأوراق من يد إلى أخرى، حتى تم الإفراج عن مولانا هادي، الذي قام بإرسال تلك المعاهدة إلى أفغانستان.

وعندما وصلت مستندات المعاهدة إلى أفغانستان قام والي البلاد أمير حبيب الله خان بعقد جلسة لتقديم هذه المستندات فيها، وشارك فيها كل من أعضاء الحكومة والضباط وزعماء القبائل، كما اشترك فيها مولانا عبيد الله السندهي كممثل للجماعة الانقلابية الهندية. ''وبعد مناقشات عديدة اتفق المجلس على ضرورة شن الحرب، على أن تقوم القوات التركية بالهجوم على الهند عبر الطرق المتفق عليها مسبقا. حيث لن تشارك الحكومة الأفغانية في الحرب بشكل مباشر، ولكنها لن تقوم بوضع أية عوائق أمام الشعب بالمشاركة فيها، وتقوم الحكومة الأفغانية بتبرئة نفسها بواسطة ادعائها بأن القبائل تحاول أن تثور عليها''[1]. وقبل اتخاذ أية خطوة أخرى كان عليهم إبلاغ شيخ الهند مولانا محمود الحسن الذي كان في الحجاز آنذاك، فلذا قام النائب الحاكم نصر الله خان ومولانا عبيد الله السندهي بكتابة المكاتيب الحريرية لهذا الغرض المشتملة على تفاصيل الخطة المرسومة.

وبغض النظر عن هذه المعاهدة، فإنه كانت هناك رسالة لمولانا عبيد الله السندهي باسم شيخ عبد الرحيم (الأخ الحقيقي لـ أجارية كربلائي) الذي كان لابد أن يتم إرسالها إلى الحجاز بواسطة شخص معتمد عليه. أما الرسالة الثانية فقد كانت باسم شيخ الهند محمود الحسن المشتملة على المعاهدة بين الحكومة الهندية المؤقتة وحكومة أفغانستان، والتفاصيل الأخرى. أما الرسالة الثالثة فإنها كانت باسم مولانا موصوف المشتملة على مواصفات السفر من جدة إلى كابل، وتقرير عن "غالب نامه" وكان يجب أن يتم

---

[1] خالد هندي، تحريك ريشمي رومال ص١٠٠ (مجلة هدى دائجست دهلي فروري ١٩٦٨م).

إرسالها إلى الحجاز عبر الأراضي الهندية، ولإنجاز هذه المهمة فوض هذا العمل إلى تاجر للثياب والأقمشة يقوم بإدارة أعماله التجارية بين الهند وأفغانستان يسمى "شيخ عبد الحق". ورافقه محمد علي ابن أخ مولانا عبيد الله السندهي الذي حمل معه رسالة مقدمة من قبل راجا ماهيندر برتاب سينغ إلى أحد الأثرياء الهنود للحصول على تبرع مالي منه، وتكللت مهمة محمد علي بالنجاح، حيث عاد بأموال طائلة إلى كابل. وقام الشيخ عبد الحق بشراء أكثر من ستين منديلا حريريا من نوعه ووضع تلك الرسائل الحريرية فيه ثم اتجه إلى الهند، ولكنه نظرا للأسئلة الكثيفة التي كان يطرحها عليه رجال الشرطة في بشاور اضطر إلى أن يعطي تلك الرسائل إلى حق نواز خان الذي قام بإرسالها إلى خواجه غلام في اليوم الثاني، وقام الثاني بإرسلها إلى شيخ عبد الرحيم حيدر آباد (السند)، وفي هذه الأثناء قامت الشرطة بإجراء تفتيش في بيت كل من حق نواز خان وخواجه غلام، وتم إلقاء القبض عليهما، وحاولت الشرطة أن تحصل على معلومات منهم بالاستعانة بجميع أنواع التعذيب والتنكيل إلا أنهم لم يفشوا بأي سر أمامهم. وعندما كان شيخ عبد الرحيم على وشك الخروج بتلك الرسائل الحريرية حتى حاصرت الشرطة بيته، واقتحمت عليه، ففر الشيخ من بيته، ولم يدر أحد إلى أين اتجه الشيخ، إلا أن تلك الرسائل قد وقعت في أيدي الإنجليز كما أن محاولة تحرير البلاد من الاستعمار الإنجليزي الغاشم الذي نظمه هؤلاء العلماء والتي كانت على وشك التكلل بالنجاح بائت بالفشل، وظهرت جميع الأسرار على الحكام الإنجليز.

كانت هذه الحركة تهدف إلى بذل الجهود القصوى لإنهاء الحكم البريطاني من الهند، ''حيث تحدثت بذلك لجنة إنجليزية عرفت باسم لجنة "رولات" وجاء فيها أن الحكومة كشفت هذه الحركة في أغسطس سنة

١٩١٦م وكانت تهدف إلى إنهاء الحكم البريطاني من الهند بالهجوم على الحدود الشمالية الغربية من الخارج والثورات الداخلية فجأة في نفس الوقت"[١]. علما بأن هذا التقرير قد صدر عام ١٩١٨م ووجهت التهم إلى المسلمين بصفة خاصة واتهموا بقيامهم بالثورة.

"وبعد انكشاف هذه الحركة اقشعرت الحكومة الإنجليزية وبدأت بعمليات التفتيش الكبيرة في جميع أرجاء البلاد وقامت بإلقاء القبض على مجموعة كبيرة من أبناء البلاد، حيث اعتقلت مولوي أحمد علي، عبد الله وأحمد جكولي، وتم إلقاء القبض على عبد الباري وشجاع الله الذين كانوا يعملون في السفارة التركية والألمانية، حيث قامت الحكومة الروسية باعتقالهم وإرسالهم إلى الحكومة الإنجليزية، وتم إلقاء القبض على مولوي مرتضى، سيد حسن، محمد مبين و مولوي مسعود في ولاية أترابراديش الهندية، كما تم اعتقال أعضاء الحزب الانقلابي في كابل بإيماءة من قبل الحكومة الإنجليزية، وسجن مولانا عبيد الله السندهي في مترل، حيث ظل هناك حتى مقتل حبيب الله خان"[٢]. ورغم ذلك ظل مولانا عبيد الله السندهي يحاول بذل جهوده في رسم الخطط للحصول على الاستقلال من براثن الاستعمار الإنجليزي الغاشم. حيث استطاع بواسطة اللجنة الانقلابية الموجودة في برلين أن يحرض الجيش الهندي الموجود في أنقرة ودمشق والقاهرة على التمرد، كما نجح في إشعال نار العصيان والتمرد في المخيمات العسكرية في البصرة وفي أجزاء المشرق البعيد. واتجه مولانا محمد ميان من كابل إلى باغستان وسكنها. ورفعت القضايا في المحاكم ضد أكثر من ٥٩ شخصا ومنهم شيخ الهند محمود الحسن، مؤسس هذه الحركة، ومولانا حسين أحمد المدني، مولانا

---

[١] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند ص ١٢٤ (الهيئة المصرية العامة للكتاب –القاهرة– ١٩٩٠م).

[٢] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص١٤١ (دهلي ٢٠٠٣م).

عبيد الله السندهي، مولانا أبو الكلام آزاد، مولانا محمد ميان، راجا ماهيندر برتاب سينغ، بروفيسور بركت الله بهوبالي، عبد الباري، شجاع الله، مولانا حسرت موهاني وغيرهم. وتم إدانتهم بالجريمة ومعاقبتهم بأشد أنواع العقوبات حيث تم إلقاء القبض على مولانا محمود الحسن وحسين أحمد مدني وبعض رفقائهم نحو مولانا عزيز غل، وحكيم نصرت حسين، ومولوي وحيد أحمد وغيرهم. وتم نفيهم إلى جزيرة مالطا، ومعاقبتهم بأشد أنواع العذاب، ولم يرجعوا إلى بومباي إلا بعد أكثر من ثلاث سنوات ونصف وذلك في عام ١٩٢٠م.

إن هذه الحركة تعتبر حركة ذات أهمية فائقة في تاريخ كفاح أبناء الهند في تحرير البلاد من أيدي الاستعمار الإنجليزي، حيث اتسمت بكونها حركة جريئة ومنظمة بشكل محكم، ولكن بسبب ظهور سر المكاتيب الحريرية قبل الوقت المحدد والمعين لها، واعتقال المرتبطين بها والمسؤولين عنها عمل على فشل هذه الحركة، إلا أنها ظهرت على مظاهر أخرى مختلفة مثل حركة الهجرة ثم ظهرت باسم حركة الخلافة وحركة عدم التعاون والموالاة، ولم تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى استطاعت أن تخرج المستعمرين من الهند وأرجائها.

ومع أن خطة مولانا محمود الحسن المعروفة التي لم يتحقق لها النجاح إلا أن هذا لا يعني بأنها باءت بالفشل حيث بقيت جمرات هذه الحركة باقية ومشتعلة ''وبعد انتقال الشيخ إلى رحمة الله كان تلاميذه وأصحابه دائبين متواصلين في هذا الجهد وعلى رأسهم مولانا حسين أحمد المدني حيث كان خليفة الشيخ في السعي لاستعادة مجد الإسلام في الهند والإخلاص لها والتفاني

في سبيلها والعداء الشديد للإنجليز والحماس للقضية الوطنية حتى أسعدهم الله بتحرر هذه البلاد وتخلصها من أيدي أعدى أعدائهم واستقلالها"[1].

هذه هي الحركة التي عرفت بحركة المكاتيب الحريرية في تاريخ كفاح الهند لنيل الاستقلال من الاستعمار الأجنبي الغاشم، علما بأن وثائق الخطة التي تم وضعها والبرامج المتبعة من خلالها تدل على حنكة شيخ الهند السياسية وبصيرته الفذة حيث لم يقدر الله النجاح لها التي لو تحققت لتغير مجرى التاريخ في شبه القارة الهندية.

---

[1] محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي، دار العلوم ديوبند ص ٣٠٠.

جمعية علماء الهند

اقترح مولانا كفايت الله ضرورة مقاطعة مراسيم حفلة الانتصار الإنجليزي في الحرب العالمية الأولى وذلك في جلسة انعقدت في ١٣ نوفمبر ١٩١٩م لمؤتمر الخلافة تحت رئاسة مولانا فضل الحق، وقام بتأييد هذا الاقتراح عدد كبير من العلماء بالإضافة إلى غاندي. كما انعقدت جلسة لمؤتمر الخلافة في ٢٢ نوفمبر عام ١٩١٩م في مدينة دلهي حيث اشترك فيها أكثر من ٢٥ عالما من العلماء البارزين في البلاد، وفي خلال هذا الاجتماع تم الاتفاق على ضرورة تأسيس جمعية خاصة بالمسلمين تقوم برعاية مصالحهم وتحاول بشتى الوسائل معالجة مشاكلهم الاجتماعية والاقتصادية وتهتم بأمور دينهم حتى لا يقعوا فريسة للحركات التبشيرية والتنصيرية التي تقوم بها الحكومة البريطانية، ويتم فتح فروع لهذه الجمعية في جميع أرجاء البلاد.

على صعيد آخر، كان مولانا محمد أبو المحاسن سجاد قام بتأسيس منظمة صغيرة في ولاية بهار خاصة بالمسلمين سماها بمنظمة علماء بهار (أنجمن علماء بهار) وحاول أن يوسع هذه المنظمة أيضا لتصبح منظمة لعموم الهند، ونظرا لجهوده اجتمع نخبة من العلماء في دلهي في ٢٢ نوفمبر ١٩١٩م، ومن بينهم حاجي محمد إسحاق، مولانا نور الحسن، سيد سليمان ندوي، آزاد سبحاني، مولوي إكرام خان، مولانا محمد سجاد، حكيم أجمل خان وغيرهم، وعهد هؤلاء العلماء بقيادة عبد الباري فرنكي محلي بالاتحاد وعدم ترك أي فراغ للاختلافات بينهم وما إلى ذلك، وبعد هذا العهد، قاموا بتشكيل منظمة باسم "جمعية علماء هند" واختاروا مولانا كفايت الله رئيسا مؤقتا لهذه المنظمة.

"وبعد أن تم الاتفاق على هذا الاقتراح الذي عرض في هذه الجلسة ظهرت جمعية علماء الهند على مسرح الوجود، ليحصل المشاركون في هذه الجلسة على عضويتها وتم انتخاب مولانا مفتي كفايت الله كرئيس مؤقت للجمعية"[1].

"وبعد سنة كاملة أي عام ١٩٢٠م تم عقد اجتماع لهذه الجمعية في مدينة نيودلهي تم انتخاب شيخ الهند مولانا محمود الحسن كرئيس للجمعية، ومولانا مفتي كفايت الله كنائب للرئيس، إلا أنه وبعد وفاة شيخ الهند، وقع الاختيار على مولانا كفايت الله ليتحمل مسؤولية رئاسة الجمعية على كتفية الذي استمر كرئيس لها فترة تزيد على عشرين عاما"[2]. وقد أقيمت الجلسة الثانية لهذه الجمعية في شهر أكتوبر من عام ١٩٢٠م برئاسة محمود الحسن، الذي أصدر فتوى بعدم التعاون والموالاة مع الحكومة الإنجليزية في شهر يونيو من نفس العام.

علما بأنه لم يتم تأسيس هذه الجمعية على نظام يهتم بأمور المسلمين الدينية وينحصر على نشر العلوم وتوفير الخدمة الإنسانية للمسلمين فقط بل كانت هذه الجمعية ومنذ أول يوم من تأسيسها تهتم بالأمور السياسية وكانت مرتبطة بمعظم الأمور المتعلقة بالدولة والديانة، وبما أن ظلم الحكومة البريطانية واضطهادهم لأبناء الهند قد زاد حدة في تلك الأيام، كان على هذه الجمعية أن تقوم بالخوض في الأمور السياسية منذ بداية الأمر، حيث يعلم الجميع بأن العلماء غالبا يحاولون التقيد بأمور التعليم والتدريس وإصلاح أبناء البشر ونشر الإسلام والعلوم الدينية، ولكن بسبب العوامل السياسية الطارئة في تلك الآونة على سماء الهند كانت من إحدى الذوافع الرئيسية التي

---

[1] أسير أدروي، تاريخ جمعية العلماء هند ص٥٤ (شعبة اشاعت جمعية العلماء هند دهلي ١٩٨٢م).

[2] نفس المصدر ص٥٥.

أجبرهم على التدخل والاهتمام بالشؤون السياسية، حيث أن الشكل الظاهري كان يوحي بأن هؤلاء العلماء كانوا يهتمون وبشكل رئيسي على الحفاظ على الديانة الاسلامية، وكانوا يقومون بعملياتهم النضالية ضد الحكومة البريطانية من أجل الدفاع والذود عن الإسلام والمسلمين، ولكن الدلائل تشير وبكل وضوح بأن العلماء لو لم يقوموا بعمليات صدهم للعمليات التبشيرية التي كانت تسود البلاد تحت رعاية الحكومة المستعمرة حتى تتقي من الفتن الداخلية، لأصبحت الهند شبيهة ببلاد الأندلس ولأصبحت الحرية والاستقلال من براثن الاستعمار بعيدة عن متناول أبناء البلاد. ولكن هؤلاء العلماء استطاعوا أن يحبطوا جميع آمال هؤلاء البريطانيين بهدم ناطحات السحاب التي كان يبنون بنيانها على قواعد الحركات التنصيرية، إن الأعمال التي قام بها العلماء في شبه القارة الهندية جديرة بألا يتغاضى عنها كل من يقوم بدراسة تاريخ الهند وكفاح أبناءه لنيل الاستقلال من براثن الاستعمار الأجنبي، حيث يعتبر ذلك علامة رئيسية توحي للجميع بمدى خبرهم في المجال السياسي وبصيرهم الفذة وحنكتهم السياسية، والذي يمكن اعتباره بأنه قل أن يوجد له نظير في تاريخ العالم.

أما نشاطات هذه الجمعية السياسية فإنه لا يسع لأحد أن يجحد دور هذه الجمعية في شتى المسائل السياسية التي كانت تتعرض لها الهند قبل الاستقلال وما يرد على المسلمين من مشاكل سياسية حتى الآن، وبما أننا بصدد دورها في كفاح القوة الأجنبية الغاشمة ونضالها للحصول على الاستقلال فإنني سأحاول أن أعرض سياستها تجاه بعض الأمور السياسية التي كانت تظهر في سماء البلاد قبل الاستقلال وكيف استطاعت هذه الجمعية أن تدبر أعمالها ونشاطاتها لتنال الهند الاستقلال.

ففي الجلسة الثانية لجمعية علماء الهند التي أقيمت في مدينة دلهي عام ١٩٢٠م تم اتخاذ قرار عدم الموالاة مع الحكومة البريطانية، وأصدرت الجمعية فتاوي تحرم التعاون مع الحكومة البريطانية. ولكن في عام ١٩٢١م قامت الحكومة البريطانية بمصادرة هذه الفتاوي التي قام أكثر من خمسمائة عالم بالتوقيع عليها وقامت بزج زعماء هذه الجمعية في السجون لمدة تزيد على عامين.

لقد كان عام ١٩٢٣م، عاما شهدت فيه الهند عددا من الاضطرابات الطائفية وأنواع العنف بين المسلمين والهندوس، فقامت الجمعية في رفع شعار الوحدة بين أبناء الوطن وحاولت إخماد نيران هذه الاضطرابات بشتى الوسائل.

وفي عام ١٩٢٧م، اتضح أمام أعضاء الجمعية بأن الحكومة البريطانية قامت بتشكيل لجنة سايمن والذي كانت ستصل إلى الهند في فترة وجيزة ليقوم بإعداد تقرير يقدم من خلاله بعض التوصيات وجدول الأعمال في المستقبل للحكومة المستعمرة، لذا أعلنت الجمعية على الفور بمعارضتها وعدم موافقتها مع هذه اللجنة، وبهذا الخصوص عقدت جلسة خاصة للجمعية تحت رئاسة العلامة أنور شاه كشميري في سبتمبر ١٩٢٧م، ومن خلال هذا الاجتماع تم مناشدة جميع أبناء الهند على ضرورة مقاطعة هذه اللجنة.

وعندما ظهر الدستور الذي قامت بتقديمه لجنة تحت رئاسة موتي لال نهرو والذي عرف بـ"تقرير نهرو" بعد مطالبة رئيس الوزراء البريطاني في إحدى خطاباته في البرلمان من أبناء البلاد الذين يكافحون لنيل الاستقلال بالقيام بإعداد دستور شامل على الأقل. فقامت هذا اللجنة التي شكلت تحت رئاسة موتي لال نهرو بتقديم دستورها، "إلا أن هذا الدستور قد ذكر فيه بأن المسلمين هم أهالي هذه البلاد ولكن في الدرجة الثانية وكان هذا

الدستور يضم بعض النقاط الأخرى التي كانت تعارض تعاليم الديانة الإسلامية وكان هذا الدستور قد تغاضى عن مصالح المسلمين أيضا، لذا قامت هذه الجمعية برفع صوتها ضد هذا الدستور وقامت بعرض مخالفتها له بشكل صريح"[1].

وفي عام ١٩٢٩م، اشترك أعضاء هذه الجمعية في حركة الملح ومسيرة داندي (داندي مارتش) التي دشنها غاندي ومنهم مولانا حفظ الرحمن، مفتي عتيق الرحمن عثماني، لذا تم إلقاء القبض عليهم وعلى مولانا فخر الدين مراد آبادي ومولانا سيد محمد ميان الديوبندي ومولانا بشير أحمد بهت وغيرهم.

وفي عام ١٩٣٠م، تم عقد جلسة لجمعية علماء الهند في مدينة أمروها الواقعة في مديرية مراد آباد تحت رئاسة مولانا شاه معين الدين أجميري، وتم اتخاذ قرار لتأييد حزب المؤتمر القومي الهندي في حركة تحرير الهند من براثن الاستعمار الأجنبي، وأعلنت الجمعية مشاركتها في جميع نشاطات حزب المؤتمر القومي الهندي وبكل قوة ونشاط. وبذلك أصبح نشاط الجمعية منحصرا على ضرورة حصول الهند على الاستقلال التام الذي ناشد به مولانا حسرت موهاني.

"حيث أن هدف جمعية علماء الهند كان يكمن دائما في ضرورة حصول البلاد على الاستقلال التام من أيدي الاستعمار الإنجليزي"[2].

وفي ٥ أغسطس ١٩٤٢م أصدر أعضاء الجمعية بيانا صحفيا مطالبين الإنجليز بضرورة ترك الهند ومغادرتها، وفي ٨ أغسطس من نفس العام تبنى حزب المؤتمر القومي الهندي نفس القرار المتضمن في شعار "Quit India

---

[1] أسير أدروي، تاريخ جمعية العلماء هند ص٧٠ (شعبة اشاعت جمعية العلماء هند دهلي ١٩٨٢م).

[2] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص

Movement" أو "Do or Die" ونتيجة لذلك لقي أعضاء الجمعية والحـــزب أنواعا عديدة من التعذيب واعتقل الآلاف من أعضائهم.

كما خالفت هذه الجمعية برامج العصبة الإسلامية التي كانت تسـعى إلى تقسيم البلاد وبناء دولة باكستان.

"وقد كان أعضاء هذه الجمعية معارضين لفكرة تقسيم الهند، لاعتبار ذلك غير مفيد لمصالح المسلمين، ولذلك قاموا بالانتقاد على سياسة العصبـة الإسلامية التي كانت تؤيد نظرية التقسيم"[1].

وكانت الجمعية مهتمة بوحدة البلاد، لذا استمرت في تأييدها لحزب المؤتمر القومي الهندي في حركة تحرير البلاد حتى طلعت شمس جديدة تشـع نورا ساطعا ويظهر على صفحات تاريخ الهند بحصولها على الاستقلال عـام ١٩٤٧م. ولكن هذا الاستقلال قد جلب معه بعض الأزمـات والمشـاكل بسبب تقسيم البلاد إلى دولتين وما نتج عن ذلك من اضطرابـات طائفيـة ونزاعات حتى هلك الكثيرون من أبناء البلاد، وكان دور الجمعية في أيـام هذه النـزاعات دورا كبيرا في حث المسلمين على عدم ترك ميراث آبائـهم والهجرة إلى باكستان ومحاولة إطفاء نار الاضطرابات ودعوة أبناء البـلاد إلى الاتحاد وتعزيز أواصر الحب والأخوة بينهم.

ومن هذا المنطلق، أريد أن أوضح هنا بأن هذه الجمعية عندما بـدأت تخوض في الميدان السياسي اتبعت النهج المبني على أن الهندوس والمسلمين في الهند هم أمة واحدة ولذا بدأ أعضائها يطوفون أرجاء البلاد ويناشدون أبنـاء البلاد على ضرورة الاتحاد والمشاركة في حركة تحرير البلاد في صف واحـد، ونظرا لهذا الأساس المتبع أعرضت هذه الجمعية عن العصبة الإسلامية وأيدت حزب المؤتمر القومي الهندي. علما بأن هذا الطريق قد أدى إلى مواجهتـها

---

[1] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص

لبعض الاعتراضات من قبل بعض العلماء الذين كانوا يؤيدون النظرية المبنيـة على أن الهندوس والمسلمين هما أمتان مختلفتان نحو ملانا أبو الأعلى المودودي والعلامة إقبال.. وعندما ترأس مولانا حسين أحمد المدني هذه الجمعية قال في إحدى خطبه التي ألقاها في مدينة دلهي "بأن الوطنية لا تنشأ عن الديانة بـل تنشأ من خلال البلاد" (قوميت مذهب سى نهين ملك سى بنتي هى).

الباب الثالث:

حركة عليكره وحركة الاستقلال

الفصل الأول:

حركة عليكره وموقف السر سيد من حركة الاستقلال

الفصل الثاني:

دور أبناء عليكره في الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي

حركة عليكره وموقف السر سيد من حركة الاستقلال

قام " السر سيد أحمد خان" بدراسة نتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م وآثارها السلبية والسيئة على المسلمين دراسة جادة، حيث رأى بأم عينيه انهيار الإمبراطورية المغولية، وفشل الثورة الهندية، ''حيث أصيب المسلمون في اثر إخفاقها بجمود تعليمي واجتماعي، وتسرب اليأس إلى نفوسهم وفقدوا الثقة بأنفسهم، ومستقبلهم وأصابتهم دهشة الفتح، وأساءت الحكومة الإنجليزية الظن بهم، واستغنت عنهم في وظائفها وإدارتها، فأصبح المسلمون الذين كانوا يملكون زمام البلاد في العهد الماضي القريب، لا نصيب لهم في سياسة البلاد وإدارتها ولا نشاط لهم''[1]. وشاهد السر سيد أحمد خان تأخر المسلمين عن ركب الثقافة الحديثة، وتجرع بنفسه مرارة الحرمان والخذلان الناجمة عن سقوط دولة المسلمين في الهند، ففكر بجدية في أسباب تدهور الأوضاع السياسية والاقتصادية للمسلمين، وتوصل إلى نتيجة أن المزيد من مثل هذه الاشتباكات مع الحكومة الإنجليزية ستسفر عن خسائر إضافية ولن تجدي بأية فائدة، وأدرك بفضل عقله الفذ وبصيرته الجيدة بأن المسلمين الهنود لا يعانون إلا من اليأس والفقر وعدم الثقة بأنفسهم لأنهم لم ينالوا قدرا كافيا من الثقافة الغربية والعلوم العصرية. ''إن السبب الأساسي لهذا التخلف الشديد للمسلمين يرجع إلى كونهم بعيدين أشد البعد عن العلوم العصرية والحديثة، التي جاء بها الإنجليز إلى الهند، والتي كانت قد أحرزت تقدما واضحا وملموسا في البلاد، وتأخرهم عن ركب الثقافة الحديثة، إلا أن المسلمين ظلوا متخلفين في اكتسابها وغير جادين في الحصول عليها، والأمر المؤسف هو أنه على الرغم من هذا التخلف الشديد

---

[1] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١١٠ (المجمع العلمي الإسلامي -لكناو- ١٩٩٨م).

في مجال التعليم، فإنه لم يكن يوجد لديهم شعور به، بل وعلى العكس تماما ظل المسلمون يعتزون بالعلوم القديمة المتوارثة ويتمسكون بها"[1]. فقام "السر سيد أحمد خان" بتشكيل حركة من شأنها إحياء المجتمع الذي كان يترنح تحت أزمات مختلفة وأعده للمقاومة مع التحديات الجديدة وأمال التيارات التاريخية إلى جانب ملائم. وهذه هي الحركة المتطورة الواسعة التي دعت على مر الزمان بـ"حركة عليكره" وتسببت في تحول المسلمين إلى حياة جديدة. وفي الحقيقة فإن هذه الحركة كانت ينبوعا لسائر التطورات التاريخية التابعة بذلك الحين. فكان "السر سيد أحمد خان" حقا باعث نهضة المسلمين في الهند في العصر الحديث، وأحدثت أفكاره الإصلاحية ومنهجه في التجديد دويا هائلا لا يزال صداه يتردد في أنحاء شبه القارة الهندية والعالم الإسلامي وكانت حركته بمثابة ثورة حضارية في المجال التعليمي والسياسي والاجتماعي. وقد وضعت "حركة عليكره" أساسها على سياسة ضرورة إبعاد المسلمين عن ضجيج السياسة ومشاكلها، والتركيز على ضرورة بناء الكليات والمعاهد العلمية على النظام العلمي الجديد، لإدراكه بأن معالم سعادة ومسرة المسلمين لا تنحصر إلا على التفوق في المجال العلمي والعلوم والمعارف الحديثة، وقام "السر السيد أحمد خان" بالنقد اللاذع على العلماء المتمسكين بالعلوم القديمة المتوارثة والغافلين عن العلوم العصرية والحديثة. وحاول أن يقوم بإدخال التعديلات والإصلاحات في المناهج الدراسية القديمة وإقامة المدارس العصرية التي تعتني بالعلوم العصرية الحديثة المنسجمة مع متطلبات العصر الحاضر، لكي لا يتخلف المسلمون في أي مجال من مجالات الحياة. ولتحقيق هذا الهدف السامي أسس "السر سيد احمد خان" بمساعدة رفقائه "مدرسة العلوم" في عام ١٨٧٥م بمدينة عليكره، التي نالت درجة

---

[1] رفيق زكريا، هندوستاني سياست مين مسلمانون كاعروج ص٤٣.

الجامعة في العقد الثاني من القرن العشرين. ''حيث كان السر سيد من دعاة الاتحاد الوطني إلا أنه بعد فترة قصيرة اتبع سياسة الانفصال عن المؤتمر بدافع الإشفاق على المسلمين الذين كانوا لا يزالون ضعفاء في الثقافة والوعي السياسي، ومتخلفين في الحياة، الاقتصاد والتعليم، وحذر المسلمين عن الوقوع في نفوذ الهندوس المتحمسين والبنغاليين المتطرفين الذين بدأوا ينتقدون السياسة الإنجليزية ويطالبون بحقوقهم ، وأشار عليهم بتكوين جبهة إسلامية والابتعاد عن السياسة والتي قد تثير عليهم الأحقاد القديمة وتخلق المشكلات الجديدة''[1].

إن طبقة خاصة من المسلمين لم تستطع أن تدرك أهمية "حركة عليكره" التي شرعها "السر سيد أحمد خان"، إلا أنهم بدأوا يدركون روح فكرة هذه الحركة تدريجيا. وقد ذكر رئيس الوزراء الهندي السابق "جواهر لال نهرو" في سيرة حياته:

> ''إن قرار "السر سيد أحمد خان" المتضمن على أن يقوم المسلمون ببذل جميع جهودهم في الحصول على التعليم الجديد كان صحيحا ومناسبا. وأظن بأنه وبدون هذا التعليم لا يتسنى للمسلمين المساهمة في بناء الطراز الجديد للوطن، حيث كان هناك مخاوف بأن يصبح المسلمون مقهورين ومضطهدين من قبل الهندوس للأبد، لتفوقهم على المسلمين في مجال التعليم ولكون حالتهم الاجتماعية والاقتصادية أفضل منهم''[2].

كان "السر السيد احمد خان" لا يحب الخضوع وعيش حياة العبودية وكان يحب الحرية. فقد أعرب في معظم مقالاته عن حرية التعبير وإظهار

---

[1] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١١٠ (المجمع العلمي الإسلامي -لكناو- ١٩٩٨م).

[2] جواهر لال نهرو، ميري كهاني ص٣١٥.

الآراء، كما كان يهتم بحرية الصحافة ويحث عليها. ''وقد اعترف "لالا لاجبت راي" في إحدى مقالاته "الرسالة المفتوحة إلى السر سيد" (سرسيد كى نام كهلا خط)، بأن مقالات "السر سيد أحمد خان" قد غرست في نفسه بذور الكفاح في سبيل الحرية''[1].

كان "الشاه ولي الله الدهلوي" يحب أن يرى السيادة العليا في أيدي الشعب، وقد كان "السر سيد أحمد خان" متأثرا بالأفكار القيمة التي كانت تمثلها مدرسة "الشاه ولي الله الدهلوي" فأراد في أول الأمر أن يقوم بإصلاح المجتمع الإسلامي الهندي والقضاء على البدع والخرافات والتقاليد التي كانت فاشية آنذاك في الهند، ومؤلفاته الممتازة مثل "جلال القلوب بذكر المحبوب" و "كلمة الحق" وغيرها تدل بوضوح مدى إخلاصه الديني وشغفه بأمور الإسلام والمسلمين، إلا أنه كان يدرك الصعوبات والمشاكل التي قد يواجهها المرء في سبيل تحقيق ذلك. وكان يعتقد بأن الحل الوحيد لمواجهة واجتياز هذه المشاكل لا ينحصر إلا على حصول المسلمين وتمسكهم بالتعليم العصري الحديث والعلوم التربوية والثقافية الحديثة. وكان يقول دائما:

> ''بأنه طالما امتنعت الحكومة من إعطاء حقوقنا العديدة والتي من أجلها نرفع شكوانا إليها، فإنه لا يمكن الحصول عليها إلا بالتعليم العالي. لذا، يجب علينا بذل الجهد المكثف في الحصول على ذلك أولا''[2].

وفي الأخير أصبح "السر سيد أحمد خان" على يقين تام بأن المجتمع الهندي هو عبارة عن مجموعة من الأمم والقبائل التي تعيش في البلاد. حيث تتمتع طبقة بمستوى حياة جيدة وطبقة بمستوى متدن جدا. لذا، فإنه كان

---

[1] نور الحسن نقوي، محمدن كالج سى مسلم يونيورستي تك ص١١٣ (ام كيه آفسيت برنترز -دهلي-٢٠٠١م.

[2] محاضرة أمرتسر ٢٩ يناير ١٨٨٤م، مجموعة المحاضرات ص٣٢٢.

غير قادر على أن يفهم كيفية بناء حكومة هندية ممثلة لجميع الطبقات في الهند تقوم برعاية مصالح الأقلية بكل احترام. كما أن كل ما كان يخشاه يمكن ملاحظته من خلال ما قد ذكره "السر سيد أحمد خان" حول قضية الحصول على عضوية في مجلس نائب الملك:

''إن صورة الإدلاء بالأصوات في الانتخابات، يمكن افتراضها على نحو أن يقوم كل مسلم بالتصويت لصالح مرشح مسلم وأن يصوت كل هندوسي لصالح مرشح هندوسي، ونقوم بإحصاء أصوات المسلمين وأصوات الهندوس، فإنه وبالطبع لا يوجد هناك أي شك بأن يحصل المرشح الهندوسي على مجموعة أصوات تزيد على ما قد حصل عليه المرشح المسلم بكثير''[1].

لذا، فإن "السر سيد أحمد خان" كان يعد التنافس في هذا السباق الذي يضمن الخسارة مائة بالمائة، أمرا لا جدوى فيه، بل لا فائدة من ذلك. وإن التعبير عن هذه المخاوف بأنه لا حقيقة لها واعتبارها أشياء قد خمنها "السر سيد أحمد خان" يعتبر غير مناسب و غير عادل للغاية. فقد اعترف "كوسليه" على أرض مدينة عليكره قائلا:

''كان المسلمون يخشون من الحصول على الاستقلال من أيدي الإنجليز المستعمرين ويدخلوا في استعباد الهندوس لهم واضطهادهم، لأنهم كانوا أقل منهم من حيث عدد السكان، كما أن هذا الخوف لا يمكن الإغضاء عنه وعدم الاهتمام به بل يجب علينا أن نتدبر ونفكر مليا لو أن هذه النسبة كانت

---

[1] محاضرة لكناو ٢٨ ديسمبر ١٨٨٧م، مجموعة المحاضرات ص٣٠٤.

مقلوبة، لكان أمرا طبيعيا أن نخضع لمثل تلك الأفكار ونقوم باتباع تلك السياسة التي يتبعها المسلمون حاليا''[1].

كان "السر سيد أحمد خان" يرغب بأن يتم تأجيل موعد استقلال البلاد حتى يتم الوصول إلى حل لهذه القضية ويقف المسلمون على أرجلهم ويصبحوا قادرين على أن يلعبوا دورا بارزا ومؤثرا في سياسة الهند. حيث يقول في إحدى مقالاته:

''لقد قلت مرارا وتكرارا وذلك في مناسبات عديدة ، بأن هذا الأمر يعتبر مستحيلا للهند بأن يحكمها هندوسي أو مسلم ويضمن الأمن والأمان لأبناء البلاد، فتقوم دولة استعمارية أخرى بالانقضاض على البلاد والسيطرة عليها. لذا، فإنه ينبغي علينا أن نعرض ولاءنا للحكومة الإنجليزية، ونتطلع إلى سلامتنا وأمننا في ظل هذه الحكومة''[2].

إن الحل الذي اقترحه "السر سيد أحمد خان" على المسلمين لضمان سلامتهم وأمنهم، لم يكن ليستمر طويلا، حيث لا يجب علينا أن نستغرب من الولاء الذي أظهره السر سيد للحكومة الإنجليزية والرغبات التي أظهرها لتوطيد الحكومة الإنجليزية في الهند، لأن ذلك العصر كان يشهد إظهار جميع زعماء وقواد حزب المؤتمر القومي الهندي الولاء للحكومة الإنجليزية في جميع جلساته أيضا. علما بأنه بعد مرور أكثر من ١٩ سنة من البيان الذي صوح به "السر سيد أحمد خان" والمذكور أعلاه، ''قام "مولانا حسرت موهاني" بإصدار قرار ضرورة الحصول على الاستقلال التام من أيدي الاستعمار الإنجليزي، إلا أنه لم يتم رفع أي صوت في تأييد ذلك القرار، بل وقف في

---

[1] مسلمانان هند كي سياست وطني ص٤١.

[2] مجلة محمدن أينكلو اورينتل كالج، يناير ١٨٦٩م ص ٦-٧.

معارضته الكثيرون ومن بينهم "مهاتما غاندي" الذي اعتبر مجيء هذا القرار قبل موعده"[1].

كان "السر سيد أحمد خان" يريد إبعاد المسلمين من صخب السياسة حتى يتمكنوا من الحصول على التعليم العالي ويقدروا على لعب دور بارز وفعال في سياسة البلاد. والتاريخ شاهد على ذلك، حيث قدم ذلك العصر وبكل سرعة متناهية، "فقد كان "نواب محسن الملك" صاحب شخصية لينة وذي طبيعة هادئة. إلا أنه في فترة توليه منصب السكرتير للكلية، قامت الحكومة الإنجليزية باتخاذ سياسة معارضة للغة الأردية، فاحتج على هذه السياسة ووقف ضد هذه السياسة بكل قوة وعزم وإصرار، فاعترضت على موقفه الحكومة الإنجليزية، فقدم استقالته من منصب السكرتير، وبعد أن طالب منه الشعب بأن يقوم بتولي المنصب مرة أخرى، وافق على رأيهم ولكن بعد أن أجبر الحكومة الإنجليزية بأن تؤكد على حرية التعبير والإدلاء بالآراء في أية قضية كانت"[2].

وكان "نواب وقار الملك" صاحب شخصية صلبة وعنيدة، فعندما رفع الموظفون البريطانيون أصواتهم، قام بتحطيم كل ما كانوا يحاولون تخطيطه وتدبيره بقوة يديه الصلبة. حيث وافق على طلب استقالة قدمها له أحد المديرين البريطانيين بدون أي تأمل. "وقال في إحدى محاضراته بأن الوقت قد حان في الخوض في الأمور السياسية، وإذا كان "السر سيد أحمد خان" موجودا في هذه الأيام لأرغب الناس في الاشتراك في الأمور السياسية، ففي أيامه، عقد اجتماع كبير للمسلمين في مدينة "لكناو" وعقد مؤتمر سياسي في

---

[1] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي اور مسلمان ص٢٠١-٢٠٢ (قاضي ببليشرز اينڈ دسٹريبيوترس -نيودلهي- ٢٠٠٣م).

[2] نور الحسن نقوي، محمدن كالج سى مسلم يونيورسٹي تك ص١١٦ (دلهي ٢٠٠١م).

مدينة دكا (عاصمة بنجلاديش الحالية) وأسس حزب العصبة الإسلامية (مسلم ليك) أيضا"[1].

وقد كان أول من أصدر قرارا بضرورة الحصول على الاستقلال التام، "حسرت موهاني" من أبناء وتلاميذ جامعة عليكره الإسلامية، وكان أول من أسس حكومة هندية بعيدة عن البلاد هو "راجا مهندر برتاب سينغ" من أبناء وتلاميذ هذه الجامعة أيضا. كما أن أخوان علي (محمد علي وشوكت علي) اللذين قاما بجولة في جميع أرجاء الهند لغرس بذور الكفاح ضد الاستعمار البريطاني وترويج هذه الفكرة للحصول على الاستقلال في حركة الخلافة وعدم التعاون والعصيان المدني كانا من أبناء الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية – عليكره. بالإضافة إلى غاندي الحدود "خان عبد الغفار خان"، ورفيع أحمد قدواي، وسيف الدين كجلو، وسيد محمود، ولياقت علي خان، والجنرال أيوب خان، وتشودهري خليق الزمان، وخواجه ناظم الدين، ومحمد اشرف الخ.

ولفهم وإدراك موقف "السر سيد أحمد خان" من حركة الاستقلال ومعرفة اتجاه حركة عليكره، ينبغي علينا أن نرجع قليلا إلى الوراء ونتأمل ونتعمق في الحالات والأوضاع السائدة بعد انهيار الإمبراطورية المغولية.

إن القرن التاسع عشر الميلادي كان من أسوأ القرون التي مرت على المسلمين في الهند عبر التاريخ، فقد شهد هذا القرن انهيار الإمبراطورية المغولية، وسيطرة الإنجليز على حكومة البلاد، وحرم المسلمون من الوظائف وواجهوا غضب الإنجليز وظلمهم، وقد شاهد "السر سيد أحمد خان" كل ما قد حل بالمسلمين في تلك الأيام، حيث شاهد الأيام الأخيرة للإمبراطورية المغولية بقرب، وشاهد كل ما حل بهذه الإمبراطورية من تدني واندثار،

---

[1] نور الحسن نقوي، محمدن كالج سى مسلم يونيورستي تك ص١١٦ (دهلي ٢٠٠١م).

فأصبح على يقين تام من قرب انهيارها وذهاب أمور الحكومة في أيدي الإنجليز. وقد كان "السر سيد أحمد خان" في مدينة بجنور عندما نشبت ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م ضد الإنجليز، فقام وبدون أي تردد بدعم الحكومة الإنجليزية، و لم يكن يطمع شيئا أو كان يهاب أحدا، بل كان يرى من ذلك فائدة أبناء البلاد، فخاطر بحياته من أجل إنقاذ الضباط والمسؤولين البريطانيين وأولادهم وأسرتهم.

لقد أطلق على ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م أسماء كثيرة ومن أشهرها، بأنها أول حرب قام بها الهنود للحصول على الاستقلال من أيدي المستعمرين، إلا أن "السر سيد أحمد خان" كان يطلق عليها بأنها ثورة الجنود، لأنه لم يكن يعتبرها حملة منظمة ضد الإنجليز، بل هي عبارة عن مجموعة من الشكاوي المتجمعة ضد الحكومة الإنجليزية، ''فقد كان الكفاح الهندي للحصول على الاستقلال نتيجة التناقض الأساسي بين مصالح الشعب الهندي والاستعمار الإنجليزي، حيث أنشأ الزعماء القوميون أيديولوجية معارضة للاستعمار الإنجليزي، وبنوا عليه أساس الحركة الوطنية بشكل تدريجي، وانتشرت هذه الأيديولوجية بين عامة الناس''[١]. وقد انتشرت نيران هذه الثورة في جميع أرجاء البلاد، إلا أنها كانت تفتقر إلى الوسائل التي تقوم بتنظيمها وترتيبها على أسس محكمة، وقد ارتكزت أنظار الجميع على الإمبراطور "بهادور شاه ظفر الثاني" لأنه رغم أنه كان رهين الحكومة الإنجليزية إلا أنه كان ملك البلاد، ولكن خاب أمل الجميع لأن هذا الملك العجوز والفقير لم يكن يحمل الخصائص التي كانت ضرورية لأي قائد أو ملك لقيادة ثورة مثل هذه. وقد لاحظ وشاهد ذلك "السر سيد أحمد خان" وبكل دقة وتركيز. ولعدم وجود أهداف وراء هذه الثورة، فقد افتقرت هذه

---

[١] INDIAs STRUGGLE FOR ONDEPENDENCE BY BIPAN CHANDRA Page No.23.

الثورة سبل الاتحاد بين صفوف المتمردين والثوار، حيث أن جماعة السيخ امتلأت بالغيظ والغضب ضد المسلمين بأجمعهم، فلاحظنا دعم هذه الجماعة للحكومة الإنجليزية خلال هذه الثورة، وبعد قرابة أقل من ١٥ سنة حدث نزاع طائفي كبير بين المسلمين والهندوس في مقاطعة مراد آباد، وهذا دليل على عدم وجود اتحاد بين صفوف الثوار، ولو استطاع هؤلاء الثوار السيطرة على زمام البلاد لما استطاعوا أن يقوموا بإحلال الأمن والأمان في البلاد. وقد صدق "مولانا محمد قاسم النانوتوي" عندما قال:

"بأننا لو استطعنا السيطرة على حكومة البلاد، لما كان بإمكاننا تدبير نظامها ومواصلة مشوارها، لعدم وجود قائد يقوم بتولي زمامها وإدارتها بطريقة جيدة ومستحكمة"[1].

كما لاحظ الجميع بأن "السلطان تيبو" الذي كان صاحب عزيمة وقوة وكان لديه جيش منظم قد هلك وهو يحارب البريطانيين، كما لقي "السيد أحمد الشهيد" وصاحبه "إسماعيل" ورفقائهما مصرعهم وهم يحاربون الجيش البريطاني. لذا، كان "السر سيد أحمد خان" على يقين تام بأن الحكومة الإنجليزية ستتمكن من السيطرة على زمام البلاد سريعا. وبعد فشل هذه الثورة كان "السر سيد أحمد خان" لا يريد إلا أن يحفظ أبناء الهند من انتقام الإنجليز وظلمهم وبطشهم. فقد كانت الحكومة الإنجليزية مصرة على إطلاق اسم المتمردين على الذين شاركوا في الحروب ضد "التشودهريين" في مقاطعة بجنور، ولكن "السر سيد أحمد خان" أصر على أن ذلك لم تكن إلا حروبا داخلية، وقدم اقتراحا بأن يتم اعتبار كل من يقوم بمقاومة دخول الجيش البريطاني في هذه المدينة بأنه متمرد وخائن، وإذا قدم "نواب محمود خان" والجميع أمام الإنجليز و لم يقابلوهم فليتم عدم اعتبارهم بأنهم

---

[1] مناظر أحسن جيلاني، سوانح قاسمي ديوبند ص١٠-١١ (١٩٥٣م).

متمردون. وبعد جدال ونقاش، وافقت الحكومة الإنجليزية على هذا الاقتراح، ''وقد تصدى للجيش البريطاني كل من "أحمد الله خان" و"ماريه خان"، والتي لم تكن إلا مقاومة ضعيفة جدا، وقتل الآلاف من الشعب الأبرياء في تلك المعارك''[1]. إلا أن "السر سيد أحمد خان" استطاع أن ينقذ الآلاف من أبناء تلك المقاطعة ويضمن سلامة أهاليها بسبب تقديمه هذا الاقتراح.

كما أنه بعد فشل هذه الثورة كان هناك احتمال كبير بأن ينزل سخط وغضب الإنجليز على أبناء البلاد. لذا، حاول "السر سيد أحمد خان" أن ينتهز جميع الفرص المتاحة له في إنقاذ أبناء الوطن من شر الإنجليز، وقدم بعض النصائح لأبناء البلاد حتى يسلموا من شرورهم. وبعد ذلك صدر القرار بخضوع الهند لحكم المملكة البريطانية مباشرة، وصدر قرار العفو العام. لقد كان "السر سيد أحمد خان" رجلا قويا لا يهاب أحدا، وكان يعتبر بأن من أهم أسباب الثورة هي الأخطاء التي ارتكبها الحكام البريطانيون ونتائج سياستهم الخاطئة، وكان يحاول مرارا وتكرار أن يشعرهم بأخطائهم ويلومهم، ويسألهم عدم تكرار تلك الأخطاء حتى تستطيع حكومتهم من عدم مواجهة ثورة محتملة أخرى. وقام بتأليف كتاب سماه بـ" أسباب التمرد في الهند" (أسباب بغاوت هند)، ''وفي ذلك الكتاب قام بالرد على ما وجه إلى المسلمين من الاتهامات التابعة بالتمرد واثبت بأن مسؤولية انفجار بركان التمرد في الهند لا يعود على عواتق المسلمين ولا على أي جيل من الأجيال الهندية بل تعود على الإنجليز الذين قاموا باتباع دبلوماسيات خاطئة، وأفاد بأن عدم إتاحة فرصة التمثيل للهنود في القنصل القانوني كان من أهم

[1] احتشام حسين، عليكره تحريك كي أساسي بهلو، عليكره تحريك نمبر ص٣٣.

الأسباب في نشوب هذه الثورة"[1]. وكتب بأن المسلمون يثقون بالحكومة الإنجليزية، وهم لن يحاولوا بدء الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية أبدا. ووصف فتاوي الجهاد بأنها مزيفة. كما كان يعتبر عدم اهتمام الحكومة الإنجليزية وعدم أهليتها من أهم الأسباب التي أدت إلى ظهور هذه الثورة، و لم يتم القيام بسد أبوابها، وخوف الهنود على ضياع أديانهم، وعدم اهتمام الحكومة بإزالة هذه المخاوف، وغض نظر الحكومة عن الفتاوي العديدة الذي كان يقوم بإدلائها البابا، وكان يتم تقديم الأطفال الأيتام للبابا للقيام بتربيتهم. وكذلك قيام البابا "إيه. إيد مند"بإجراء بيان صحفي ذكر فيه بأنه بعد أن أصبحت البلاد خاضعة لحكومة واحدة، فإنه يجب على أهالي البلاد معانقة ديانة الحكومة أي الديانة المسيحية، ولكن لم تقم الحكومة بسد أبواب هذه الدعايات، وصدق "البروفيسور إحتشام حسين" الذي قال:

> "بأن هذا الكتاب يعتبر بمثابة أول جهد بذله "السر سيد أحمد خان" في حث المسلمين على التوجه إلى المجال السياسي في البلاد والتركيز عليه "[2].

وعندما أتم "السر سيد أحمد خان" كتابة هذا الكتاب، أراد أن يرسلها إلى الحكومة الإنجليزية، فمنعه بعض أصدقائه من فعل ذلك ومن بينهم صديقه "راي شنكر داس" خوفا عليه من نتائجها. إلا أنه لم يمتنع عن ذلك وقام بإرسالها إلى الحكومة الإنجليزية، فبدأ سخط الحكومة في بداية الأمر، ولكن عندما أدركوا بأنه لم يتم نشر هذا الكتاب في الهند، بدأوا يفكرون بجدية بالأمور التي رفعها هذا الكاتب، وتم تنفيذ بعض منها.

---

[1] ثقافة الهند، المجلد ٣٨، العدد ١-٢، عام ١٩٨٧م.

[2] ألطاف حسين حالي، حيات جاويد ص١٣٦ (ترقي أردو بيورو -نيودلهي- ١٩٨٢م).

وقد كتب حاكم الهند الجنرال "لارد ايلن برا" في عام ١٨٤٢م رسالة إلى "ديوك آف ويلنكتن" ذكر فيها بأن المسلمين هم أعداء لنا، وبعكس ذلك فإن الهندوس فرحون بانتصاراتنا، حيث لا يبلغ عدد سكان المسلمين في الهند أكثر من ١٠%، فلم لا نقوم بدعم الهندوس. كما أن تهمة القيام بثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م قد وقعت على المسلمين أيضا.

وقد تأثر "السر سيد أحمد خان" بهذا الأسلوب كثيرا. فحاول أن يثبت ولاء المسلمين للحكومة الإنجليزية بواسطة كتابه (المسلمون الموالون في الهند – Loyal Muhammdans of India)، وكتب في بدايته بأن هذا العصر (٥٨--١٨٥٧م) يعتبر عصرا يحمل جميع أنواع الفشل والخسارة والشقاء للمسلمين، ولم تكن أزمة وقعت إلا وحلت بالمسلمين وتحمل نتائجها ومسئوليتها أبناءها ''ولم أجد أية كتب قد صنفت في ذلك العصر إلا وقد اتهمت المسلمين الهنود بأنهم هم المفسدون في الأرض وما إلى ذلك''[١].

كما أن كتاب دبليو دبليو هنتر "مسلمو هندنا"(Our Indian Muslims) قد لعب دورا بارزا في زيادة الفاصل بين المسلمين والحكومة، ''لأنه احتوى على مجموعة تهم ضد المسلمين وخاصة الوهابيين مما كان له أثر عميق على اتساع هفوة الخلاف بين المسلمين والإنجليز فرد عليه السر سيد أحمد خان بكتابه "نقد كتاب الدكتور هنتر" وصحح فيه أفكار الإنجليز غير الصحيحة تجاه المسلمين''[٢]. وحاول "السر سيد أحمد خان" أن يقوم بتحسين العلاقات بين المسلمين والحكومة الإنجليزية، فقام بتأسيس الكلية المحمدية الشرقية الإنجليزية في مدينة عليكره، وبسبب أن القائمين على هذه

---

[١] السر سيد أحمد خان، لايل محمدنز أوف إنديا ص٣-٤.

[٢] ألطاف حسين حالي، حيات جاويد ص٢٣٣ (ترقي أردو بيورو -نيودلهي- ١٩٨٢م).

الكلية كانوا أوروبيين. لذا، لم تقم الحكومة باعتبارها ككلية معادية لها. فانتهز "السر سيد أحمد خان" هذا الفرصة ليبني العلاقات الجيدة بين الحكومة.

ففي الواقع أن "السر سيد أحمد خان" قد شاهد بأم عينيه نتائج ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م وكيف أنها لعبت دورا هاما في تحمل المسلمين لوحدهم نتائجها. لذا، لم يكن يريد بأن يقوم المسلمون في الانضمام إلى أية حركة أخرى لكي لا ينالوا نصيبهم من البؤس والشقاء مرة أخرى، أو تظهر أحداث جديدة يتحمل المسلمون نتائجها لوحدهم فتسبب في تأخرهم في المجال العلمي والتعليمي ويهدم برنامجهم العلمي الذي بدأه "السر سيد أحمد خان"، فقد كان حقا يأمل مشاركة المسلمين في المجال السياسي وممارسة حقهم الشرعي فيه، ولأجل هذا الهدف النبيل قام بتأسيس منظمات عديدة تقوم بأعمالها بنشاط في هذا المجال.

دور السر سيد أحمد خان في نهضة المسلمين:

إنها صورة لحركة عليكره في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي، حيث بدأت التغييرات في هذه الحركة تظهر منذ طلوع شمس القرن الجديد، فبدأ متبعو هذه الحركة من المسلمين في الانضمام في حزب المؤتمر القومي الهندي ويبذلون قصارى جهدهم في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني.

قام "السر سيد أحمد خان" بدراسة أوضاع المسلمين، فوصل إلى ضرورة إزالة الفجوة بين المسلمين والإنجليز لغرس بذور الفهم السياسي للمسلمين، وذلك بإنهاء النزاع الديني بين الفريقين. ففي البداية أدرك بأنه لا يتم الحصول على ذلك بدون التعليم العالي والعصري الحديث، ولأن

ابتعادهم عن هذه العلوم العصرية لم تكن إلا نتيجة حقدهم وبغضهم للإنجليز فقط، فنالوا قسطهم من الحرمان العلمي نظرا لهذا التعصب الفكري والديني. وكان من الواجب عليه أن يقوم بإزالة هذا التعصب والاعتقاد. ولإزالة هذه الاعتقادات بدأ "السر سيد أحمد خان" في الخوض في العلوم الدينية أيضا، وحاول أن يثبت بأن الحصول على العلوم العصرية الحديثة والفلسفة الإنجليزية لا يؤثر إطلاقا على الدين الإسلامي. وكان يحاول أن يزيل من أذهان الإنجليز بأن المسلمين هم أعداء لهم. وكان يريد بأن يقيم الإنجليز العدل مع المسلمين ويمنحوهم حقوقهم الشرعية، وأن تقدم الحكومة الإنجليزية لهم جميع أنواع المساعدات الشرعية في المجال العلمي والتربوي، وحاول قدر المستطاع أن يقوم بتحسين العلاقات بين المسلمين والبريطانيين.

كان "السر سيد أحمد خان" يريد أن يعيد أمجاد المسلمين في هذه البلاد بواسطة التفوق في المجال العلمي، وقد أحس بأن المسلمين لا يتسنى لهم الحفاظ على الدين الإسلامي والوقار والثقافات الدينية إلا بالتفوق في المجال العلمي الحديث، ويجب عليهم أن يبحثوا عن العلم ويدركوه أينما وجدوه. ونظرا لتركيز "السر سيد أحمد خان" على العلوم الغربية وحث أبناء المسلمين على حصولها، وقف معظم العلماء ضده. وقاموا بالنقد عليه وعلى أسلوبه بكل شدة، إلا أنه قام بمقابلة هذا التيار الجارف بمدرعات العلم والمعرفة والجد والعمل الدؤوب. وكان لأجل ذلك يخالف مساهمة المسلمين في الشؤون السياسية لما ستعكس ذلك من نتائج غير ناجحة، ولكن للأسف الشديد فان بعض المؤرخين لم يقسطوا معه وشوهوا كثيرا من نظرياته السياسية حتى قالوا أنه كان متملقا للحكومة الإنجليزية وعلى إيعازها كان يخالف حزب المؤتمر القومي، علما بأنها كانت بعيدة عن الحقائق.

وعلى صعيد آخر، فإن "السر سيد أحمد خان" كان يحمل مشـــاعر دينية بالغة، ويمكن لنا أن نعرض هنا نموذجا لحبه للإسلام والإيمان، وذلـــك عندما قام "السر وليم ميور" بتأليف كتاب باسم "حياة محمد" وقـــام فيـــه باعتراضات فاحشة على الدين الحنيف وهاجم على السيرة النبوية المطـــهرة وحاول تشويه صورة الإسلام بطريقة وثيقة مما جرح مشاعر المسلمين، علما بأنه كان يتقن اللغة العربية فأتى بدلائل فائقة على اعتراضاته حـــتى تعســـر جوابها فوقف "السر سيد أحمد خان" ضده بالمرصاد وقام بنشر إحدى كتبـــه القيمة باسم "الخطبات الأحمدية " في عام ١٨٧٠م في لندن ردا على هـــذا الكتاب، وأتى بدلائل قاطعة وبراهين مقنعة، فتعجب من ذلك بعض أكـــابر العلماء المسيحيين والعباقرة، حيث يقول عالم مسيحي اسمه "ايورند هوبر":

> ''إن العمل الذي قام به "السر سيد أحمد خـــان" في حمايـــة الإسلام والذود عنه، لم يستطع أحد مـــن المســـلمين فعـــل ذلك''[١].

لقد قام السير سيد أحمد خان بإصدار مجلة "تهذيب الأخلاق" في عـــلم ١٨٧٠م لتكون تلك المجلة بمثابة ممثلة لحركته الإصلاحيـــة وأداة في نشـــر أفكاره الإصلاحية التي تنادي بها حركته "حركة عليكره"، وأخذت المجلـــة مكانة العزة والاحترام بين الشعب الهندي وكان لها دور فعـــال في نهضـــة المسلمين في الهند، حيث اهتمت بشؤون المسلمين الاجتماعية والدينية، ونجح السر سيد في ضم كوكبة من الكتاب والأدباء في هذه المجلة نحو علي خـــان وجراغ علي وألطاف حسين حالي. يقول عبد القيوم:

---

[١] ألطاف حسين حالي، حيات جاويد ص١٤ (ترقي أردو بيورو -نيودلهي- ١٩٨٢م).

"لقد بدأ الإصلاح والتغيير في المجتمع الإسلامي بشكل جدي منذ صدور مجلة "تهذيب الأخلاق"[1].

علما بأن الهدف من إصدار هذه المجلة كان يكمن في ترغيب مسلمي الهند في العلوم والتعليم وفي التطور والتحضر.

كان "السر سيد أحمد خان" صاحب شخصية جامعة، وكان يدرك بأنه يجب علينا أن نركز على جميع شعب الحياة، ومن أهم أعماله القيمة التي قام بها، والذي لا يمكن لأحد التغاضي عنها، هو قيامه بتأسيس الجمعية العلمية والمعهد الشرقي الغربي ومؤتمر المسلم التربوي.

كان "السر سيد أحمد خان" يعتقد بأنه لا يمكن الحصول على التطور والرفاهية والازدهار في أي مجال من مجالات الحياة بدون أن يصبح عقول الناس مفتوحة لجميع العلوم، ولأجل إحياء الناس وفتح عقولهم يجب العمل وبذل الجهد الكثيف بطريقة منظمة، حيث كان يقول بأنه لا يمكن القضاء على الأوهام والضيق الفكري إلا بالأفكار الحديثة، وأبدى رأيه على ضرورة تشكيل مجلس يقوم بترجمة الكتب الدينية القديمة الهامة والكتب الإنجليزية الحديثة باللغة الأردية، وهذا من أهم أهداف تلك الجمعية العلمية التي قام بتأسيسها. وقد كانت هذه الجمعية تعتبر الأولى من نوعها في الهند التي تؤكد بأنه لا يمكن الحصول على التطور والازدهار في مجالات الحياة إلا بنقل الكتب والمواد العلمية إلى اللغة الوطنية أولا. والحقيقة المعترف بها أن هذه الجمعية لعبت دورا هاما في التأثير الإيجابي على الحكومة والشعب، وقامت بإزالة الجهل وإنهاء البعد عن الأفكار والعلوم الغربية، وقامت بخلق مناخ جيد يستطيع من خلاله أي مواطن هندي فهم أصول العلوم والمواد الإنجليزية الأخرى، كما أن الهدف الذي كان يرغب في حصوله "السر سيد أحمد

---

[1] محمد إسماعيل باني بتي، مقالات السر سيد ص٣٧.

خان" ببذل محاولات جادة منه في توفير سبل الازدهار والرفاهية في مجـــال التعليم قد بلغ أوج النجاح بواسطة هذه الجمعية. ووصلت نتائجها إلى الأفق البعيد.

أما العمل الثاني الهام الذي قام به "السر سيد أحمد خان" هو تأسيسه كلية إم. إيه. أو. لأنه كان يعتقد بأن تحسن أوضاع المسلمين ينحصر علـى تفوقهم في المجال العلمي وهذا هو العلاج الصحيح لذلك الداء، ونظرا لهـذه الأفكار قام بتأسيس هذه الكلية في عليكره عام ١٨٧٥م باســـم "الكليـة المحمدية الشرقية الإنجليزية". وقد كانت من أهم خصائص هذه الكلية بأنهـا كانت بعيدة كل البعد عن سياسة التنافر والبغض والحقد والعصبية، وكـان "السر سيد أحمد خان" يرى من خلال هذه الكلية أن يستطيع جميع أبنـاء البلاد بشتى الديانات والاعتقادات الحصول على التعليم وبكل سهولة. علما بأن المقصد الرئيسي كان يركز على ترغيب المسلمين نحو العلـم والعلـوم العصرية، إلا أنه كان يريد تقريب المسلمين والهندوس أيضا. لا شـك في أن من أهم مقاصد هذه الكلية كان يكمن في ضرورة اتحاد المسلمين والهنـدوس ونشر العلوم العصرية الحديثة بين المسلمين، لأن الحكومة الإنجليزية كـانت تسعى دائما أن تفكك أبناء البلاد على أساس الديانات والاعتقادات بعـد ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م. وكانت تخشى من اتحادهم.

ولا شك أن طريقته، مع ما لابسها من ظروف وملابسات، وما اتخذ لها من وسائل قد نجحت إلى حد كبير في خلق جيل مثقف من المسـلمين، وكان له أثر بعيد المدى في النهوض بإخوانهم، والاضطلاع بمهام الأمـور في بلادهم، والمشاركة في قيادة حركة التحرير في الهند.

إن جامعة عليكره الإسلامية تعد اليوم من أعظم جامعات شبه القـارة الهندية، ''وقد ساهمت في تثقيف الشباب المسلم وتنوير فكره وصوغـه في

قالب جيد، مساهمة لا ينكر فضلها أبد الدهر، فكان معظم زعماء المسلمين في ماضي الهند القريب وأغلبية العلماء الذين نبغوا في مختلف العلوم العصرية ونالوا شهادة دولية، إما من خريجي هذه الجامعة أو كانت لهم علاقة بها"[1].

"ولازالت جامعة عليكره قائمة تؤدي رسالتها الكبرى كأحدث الجامعات، يلوذ برحابها الكثير من الطلاب ولا سيما المسلمين"[2]. "حيث نجحت الجامعة نجاحا كبيرا، وأقبل عليها أبناء الأسر الشريفة الأرستقراطية في عدد كبير وتخرج فيها رجال كثيرون شغلوا وظائف كبيرة في الحكومة وتمتعوا بثقتها، وقد لعبت الجامعة وأبنائها دورا مؤثرا في حياة المسلمين وسياسة البلاد"[3]. "ولكن بالرغم من التهم الكثيرة التي وجهها العلماء لأحمد خان، استمر في سياسته ومدرسته بمساعدة مسلمين على مثل رأيه ومساعدة الإنجليز، حتى تطورت هذه المدرسة إلى جامعة، تخرج فيها الكثير من أبناء المسلمين وشاركوا في الحياة العامة فيما بعد، وكان منهم كثيرون قادوا الحركة العلمية والسياسية الوطنية في الهند، برغم السمة العامة بجامعة عليكره والمتخرجين فيها، وفي انحيازهم للسياسة الإنجليزية، واعتبار الجامعة وكرا لهذه السياسة"[4].

---

[1] ثقافة الهند، المجلد رقم ٥٢، العدد ١، عام ٢٠٠١م.

[2] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند، ص ٥٠ (مكتبة وهبة -مصر- ١٩٦٤م).

[3] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند، ص١١٠.

[4] عبد المنعم النمر، ابو الكلام آزاد، ص٣٣ .

دور أبناء عليكره في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني

إن "حركة عليكره" كانت حركة إصلاحية وتعليمية، و لم يكن لها أية صلة بالحركات السياسية بشكل ظاهري، وكان من أهم أهدافها غرس بذور العلم والعلوم في قلوب أبناء الهند بشكل عام وحث المسلمين على التسلح بالعلوم العصرية الحديثة بشكل خاص، فقد كان السر سيد أحمد خان مؤسس هذه الحركة يرى بأن رقي المسلمين وازدهارهم ينحصر على إتقانهم للعلوم العصرية الحديثة، وبذلك يمكن لهم التخلص من المشاكل الاجتماعية المحيطة بهم آنذاك. فطلب منهم المثابرة وعدم الخوض في الشؤون السياسية.

بدأت حركات الكفاح من أجل تحرير البلاد بعد فشل حركة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م مرة أخرى، وذلك بعد قيام حزب المؤتمر القومي الهندي في عام ١٨٨٥م. ففي بداية الوقت، كان هذا الحزب بمثابة منظمة اجتماعية إصلاحية، إلا أنه بدء أعماله ضد البريطانيين من أجل الحصول على الاستقلال، ولكن هذا الحزب حاول اتباع الأسلوب الآمن وعدم استعمال العنف في سبيل تحقيق الهدف المنشود، وقد تم تأسيس حركات عديدة منذ عام ١٨٨٥م وحتى حصول البلاد على الاستقلال في عام ١٩٤٧م. وقد قام السر سيد بشن حملات عدائية على حزب المؤتمر لأن نتائج فشل ثورة التحرير الهندية عام ١٨٥٧م، وأثرها السلبي على المسلمين كانت تمنعه من اتباع سبل معادية للحكومة الإنجليزية خوفا من ظهور تلك الحالات وظلم الإنجليز وبطشهم على المسلمين مرة أخرى. وكان يرى بأن العلم والعلوم العصرية هي الوسيلة التي ستوفر سبل العيش والرفاهية والازدهار لأبناء البلاد. لذا، كان السر سيد احمد خان يمنع أبناء البلاد من الخوض في الأمور السياسية، واعترض على هذا الحزب وانتقد سياستهم انتقادا لاذعا، وقد تأثر

معظم المسلمين المقيمين في المناطق الشمالية من البلاد بمنعه لهم من الخوض في الأمور السياسية، ورغم كل ذلك فإن المستجدات السياسية الراهنة في ذلك الوقت قد لعبت دورا بارزا في بدء رجال "حركة عليكره" في الخوض في الشؤون السياسية، ومن بينهم زملاء السر سيد أحمد خان نحو مولانا حالي والعلامة شبلي النعماني.

''لقد كان مولانا حالي يقوم بغرس بذور الحرية في قلوب الشعب وتشجيعهم على ذلك، ونظم قصائد عديدة في هذا المضمار، كما أن من أهم قصائده المشهورة هي القصيدة التي تعرف بـ"حب الوطن" فقد كان حقا محبا للوطن، وكان يحب كل بقعة من بقاع بلاده. وكان من مؤيدي حركة (الحركة الوطنية، سوديشي مومنت) وكان يحث على ضرورة اتحاد المسلمين والهندوس، وكان يدرك بأن هذا الاتحاد يمكن له أن يلعب دورا هاما في تحرير البلاد من أيدي الغاصبين''[1].

وكان العلامة شبلي النعماني من زملاء السر سيد أيضا، وكانت نظرياته السياسية تماثل وتشابه نظريات أعضاء حزب المؤتمر الوطني القومي، إلا انه لم يكن مرتبطا بالأمور السياسية بشكل مباشر، وفي عام ١٩١١م، عندما قررت الحكومة الإنجليزية إلغائها تقسيم ولاية بنغال ونشوب حرب بلقان، فإن هذه الحالات أجبرته على الخوض في العمليات السياسية مباشرة، فكان يحضر كل اجتماع ينعقد بشأن هذه الحرب ويقوم بجمع التبرعات للمنكوبين فيها. وقام بكتابة مقالات عديدة ونظم قصائد جلة بهذه المناسبة. وفي هذه الأثناء، تم هدم جزء من أجزاء مسجد في مدينة كانبور وكانت هذه الكارثة قد هزت جميع مسلمي الهند وساهم الهندوس أيضا في المظاهرات والاحتجاجات ضد هذا الفعل الشنيع، وتأثر العلامة شبلي

[1] معين أحسن جذبي، حالي كا سياسي شعور، ص ٩٥ (أنجمن ترقي أردو عليكره ١٩٥٩م).

النعماني بها أيضا، واشترك في المظاهرات والجلسات الاحتجاجية وأظهر غضبه ضد الحكومة الإنجليزية. وكتب قصائد عديدة في تلك الأيام التي لعبت دورا هاما في غرس روح النضال في قلوب أبناء الهند والصمود أمام العدوان البريطاني الغاشم.

وبغض النظر عن زملاء السر سيد، فقد قام أبناء الكلية المحمدية الإنجليزية الشرقية في بداية الأمر ثم جامعة عليكره الإسلامية بلعب دور بلوز في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني، فكان بعضهم قوادا للحركات ضد الاستعمار البريطاني، وقام الآخرون بتضحيات لا يمكن للتاريخ تجاهلها. فمن بينهم هؤلاء التلاميذ الذين شاهدوا السر سيد أحمد خان من أمثال آفتاب أحمد خان، مولانا محمد علي، مولانا شوكت علي، خوشي محمد ناظر، مولانا ظفر علي خان، مولانا طفيل أحمد منغلوري، وراجا ماهيندر برتاب سينغ وغيرهم. وكذلك التلاميذ الذين التحقوا بالكلية أو الجامعة بعد وفاة السر سيد ومنهم مولانا حسرت موهاني، إقبال سهيل، الدكتور ذاكر حسين، نواب زاده لياقت علي خان، سردار عبد الرب نشتر، خواجه عبد الحميد، أسد كشمير الشيخ محمد عبد الله، رفيع أحمد قدوائي، مير بركة علي خان، الدكتور محمود، بخشي غلام محمد وغلام محمد صادق. وكذلك لا ننسى أبناء عليكره ومنهم جوش مليح آبادي، عبد الرحمن بجنوري، راجا غلام حسين، خواجه أحمد عباس، إسرار الحق مجاز، سردار جعفري، حيات الله أنصاري، وغيرهم. الذين ساهموا مساهمة جادة وفعالة في رفع لواء الكفاح ضد المستعمرين.

لقد حاول السر سيد أن يبعد المسلمين ويحثهم على الابتعاد عن صخب السياسية وشؤونها، ويرغبهم في ضرورة التركيز على الحصول على العلم بقدر المستطاع، حيث لم يقم بتأسيس كلية في عليكره فقط، بل قام

بجولة في جميع أرجاء البلاد لحث المسلمين على ضرورة التركيز على العلوم العصرية والحديثة، كما أن كلية عليكره لم تكن كلية فقط بل كانت مركزا هاما للنشاطات السياسية لمسلمي الهند، و لم تكن "حركة عليكره" حركة تعليمية بل كانت حركة فكرية وتربوية أيضا، وقد قضى السر سيد حياته في تعزيز أصول هذه الحركة والتركيز على العلوم العصرية الحديثة، إلا أن خلفاءه قاموا بإعادة النظر في آراءه ومبادئه وأصوله بعد وفاته، حيث قال نواب وقار الملك:

> ''بأن السر سيد لو كان حيا لنصح أبناء الكلية بالخوض في الشؤون السياسية العملية، ولحثهم على ضرورة الحفاظ على مصالحهم الذاتية والصمود أمام كل عائق في وجوه تلك المصالح''[1].

''لذا، فإنه وتحت قيادة نواب وقار الملك في مؤتمر دكا تم تأسيس العصبة الإسلامية (مسلم ليك)''[2]. فبدأت وجوه عديدة مرتبطة بكلية عليكره بالاشتراك في عمليات الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي، وبعد وفلة السر سيد بخمسة سنوات تم تأسيس منظمات وجمعيات سرية عديدة لمواكبة أعمال الكفاح ضد المستعمرين، وارتبط بها كل من الدكتور سيد محمود، عبد الرحمن صديقي، شعيب قريشي، عبد الرحمن بشاوري، مولانا حسرت موهاني، سجاد حيدر، وعبد الرحمن بجنوري وغيرهم. وتم تشكيل جماعلت لـ (ستيه كره) فقام كل من شفيق الرحمن، أمير عالم، وسيد محمد تونكي وغيرهم في جولة حول مختلف المناطق في الهند، وفي عام ١٩٠٧م تجمع أبناء كلية عليكره على قبر السر سيد وحلفوا بالله على أنهم لن يشعروا بالراحة

---

[1] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص١٩٩.

[2] مجلة تهذيب الأخلاق، مجلد ١٧، العدد ٣-٤، ص ٢٦٧ عام ١٩٩٨م.

والاطمئنان حتى يقوموا بتحرير البلاد من بطش وعدوان الإنجليز، وكان في مقدمتهم كل من سيد محمود، وعبد الرحمن بجنوري وتصدق أحمد خان شرواني، وفي عام ١٩٢٠م قام الدكتور ذاكر حسين بدعوة من المهاتما غاندي والأخوان علي، وغيرهم من أبناء عليكره بترك عليكره والتوجه إلى الجامعة الملية الإسلامية ووضع حجر الأساس لتلك الجامعة، وقد قام حسرت موهاني برفع قرار الاستقلال التام من براثن الاستعمار، رغم منع المهاتما غاندي له، حيث قال المهاتما غاندي:

"إن حسرت موهاني يريد أن ينزل بنا في بحر عميق لا ندري مدى عمقه وخطورته"[1].

وفي عام ١٩٢٩م قام حزب المؤتمر الوطني بتبني قرار ضرورة الحصول على الاستقلال التام ودرج ذلك في ضمن جهود جواهر لال نهرو في الحصول على الاستقلال.

لقد بذل أبناء كلية عليكره جهودا جبارة في حركة الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي ولا يمكن لأي تاريخ يدور حول الكفاح من أجل الحصول على الاستقلال في الهند بالتغاضي عن الدور الفعال والبارز الذي قام به أبناء هذه الكلية. علما بأن أعداد هؤلاء المجاهدين في حركة الاستقلال يبلغ عددا لا يمكن إحصاءه، وهنا سأقوم بذكر نبذة عما بذله بعض هؤلاء.

تعتبر شخصية آفتاب أحمد خان شخصية ذات أهمية بالغة، فهو من أحد أبناء هذه الكلية، الذين قاموا بخدمات جلية تجاه الوطن، فقد كان من أهم أهدافه تعزيز "حركة عليكره" وخدمة كليته بشتى الوسائل، وبالرغم من أنه لم يكن مرتبطا بالشؤون السياسية مباشرة، إلا أنه لم يكن غافلا عن

---

[1] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص٢٠٠.

متطلبات عصره والاتجاهات السياسية والضرورة الملحة في ذلك الوقت وما إلى ذلك، وبالطبع فإنه نظرا لارتباطه بالكلية والأشغال الكثيرة التي كان منهمكا فيها، لم يستطع أن يسرد المقالات أو ينظم الأشعار التي تساعد في توجيه أبناء البلاد وتخطيط مساعي الفلاح والنجاح، ولكن كانت له مذكرة خاصة به، ومن خلال دراسة هذه المذكرة، يتضح لنا بأنه كان يتطلع إلى أفق سياسي جديد للبلاد، ومستقبل سياسي وطيد، فكان من مؤيدي ومناصري سياسة حزب المؤتمر القومي الهندي، وكان يحث المسلمين على المشاركة في هذا الحزب والكفاح ضد الاستعمار البريطاني من أجل تحرير البلاد.

كما ساهم مولانا محمد على جوهر مساهمة فعالة في حركة الكفاح ضد الاستعمار البريطاني الغاشم. حيث بدأ في بداية الأمر بإصدار جريدة إنجليزية باسم "كامريد" أي "الرفيق"، التي أثرت بصورة خاصة في الجيل الناشئ من المسلمين المثقفين. وفي عام ١٩١٢م بدأ بإصدار جريدة أردوية باسم "همدرد" ليصل دوي هذه الجريدة إلى أبناء الوطن، وبدأت هاتين الجريدتين تحملان جميع أنواع الانتقادات والاعتراضات على السياسة الإنجليزية. كما كان مولانا محمد علي مزيجا غريبا من التقليد الإسلامي وثقافة اكسفورد، وقد بدأ ملتزما لتقليد عليكره، وكان يعارض جميع أنواع السياسة العدوانية وكانت لغته قوية دائما، وكان إلغاء تقسيم البنغال عام ١٩١٢م قد أصابه بصدمة رهيبة، لأن المسلمين كانوا يتطلعون إلى ذلك وكأنه بمثابة رجوع أمجادهم الماضية، فتزعزع إيمانه بحسن نية الحكومة البريطانية. وبدأ مولانا محمد علي جوهر يركز تدريجيا على الأمور السياسية، فطاف أرجاء البلاد، وخلق جوا مناسبا ضد المستعمرين البريطانيين وذلك بفضل خطبه السياسية الحادة، واشترك في المظاهرات والاحتجاجات ضد

الحكومة الإنجليزية بعد أن هدم جزء من مسجد في كانبور عـــام ١٩١٣م، واتجه إلى لندن أيضا ليدرج احتجاجه ضد الحكومة، وكتب مقالة في تـــأييد الأتراك وفي معارضة البريطانيين معارضة شديدة، فقامت الحكومة بوقـــف جريدتيه، وقامت بإلقاء القبض عليه وعلى أخيه شوكت علي، وبعد ذلـــك قام الشعب الهندي بمظاهرات عديدة مطالبا الحكومة بضرورة الإفراج عـــن الأخوين، وبعد أن تم إخلاء السبيل عنهم، قام هو وأخـــوه بالانضمـــام إلى حركة الخلافة، حيث لعبت هذه الحركة دورا بارزا في توحيد صفوف جميع أبناء الهند ضد الحكومة الإنجليزية. ''وقد كان إعلان الإنجليز الحرب علـــى دولة الخلافة، مما أذكى في المسلمين بصورة عامة روح المقاطعـــة والعـــداء، وحمل مولانا محمد علي وأخاه شوكت علي على مهاجمة الإنجليز وسجنهما، ثم على تأليف لجنة الخلافة، بعد انتهاء الحرب، وحنث الإنجليز بعـــهودهم، وإعلان المقاطعة ضد الإنجليز''[١]. وفي عام ١٩٢٠م، اســـتطاع غـــاندي أن يحصل على تأييد حزب المؤتمر حول قرار عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية بتأييد من محمد علي، فساهمت هذه الحركة في هز كيان الحكومة الإنجليزية، وأظهرت نوعا فريدا من اتحاد المسلمين والهندوس، وقام محمد علي وشوكت علي بالسير مع غاندي والتجول في جميع أرجاء البلاد ''ومن أهم أجزاء هذه الحركة يكمن في ضرورة مقاطعة المؤسسات والمعـــاهد العلميـــة التابعـــة للحكومة الإنجليزية أو التي تقبل منحهم المالي الخاص، فاتجه محمـــد علـــي وغاندي إلى كلية عليكره، فسار معه أكثر من ٢٠٠ طالب تاركين الكليـــة، ودعا محمد علي، شيخ الهند مولانا محمود الحسن ليقوم بتدشين الجامعة الملية الإسلامية''[٢].

---

[١] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند ص١٢٥.

[٢] د.محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي أفكـــار ص١٨٦ (ترقـــي أردو بيـــورو -نيودهـــي- ١٩٨٥م.

كان المهاتما غاندي قريبا جدا من هذين الأخوين، وكان يردد دائما هذه العبارة في معظم خطبه، بأنه يكن لهم بالتقدير والاحترام، ''فقد قام برحلات طويلة معهم، وكان يخاطب فيها الجمهور ويخطب الحفلات الكبيرة، وكان الجمهور يستقبل هؤلاء الزعماء بحماسة منقطعة النظير ويهتف بحياتهم''[1].

لقد كان مولانا محمد علي جوهر يحاول تحسين وتوطيد العلاقات بين المسلمين والهندوس، ففي عام ١٩٢٣م، قال في أثناء خطابه في جلسة لحزب المؤتمر القومي الهندي بأن المسلمون يعتمدون على الهندوس والعكس كذلك ولكنهم لا يعتمدون على الإنجليز، علما بأن المهاتما غاندي قد بدأ الصيام حتى الموت في بيت مولانا محمد علي بعد حدوث النزاع الطائفي الذي وقع بين المسلمين والهندوس في ١٨ سبتمبر ١٩٢٤م، وبدأ مولانا بإصدار الجرائد من جديد وذلك بعد أن رأى تفاقم أوضاع أبناء البلاد وعدم وجود الاتحاد بينهم، ''وأصيب بمرض سافر من أجله إلى الخارج وعندما كان في طريق عودته، شاهد تقرير نهرو، واعتبره معارضا للمسلمين وقام بمعارضته، وأعرب عن عدم اتفاقه مع هذا التقرير في جلسة حزب المؤتمر التي عقدت في كلكتا ولكنه باء بالفشل، ولذلك اشترك في مؤتمر المسلمين لعموم الهند وحاول بشتى الوسائل أن يقوم برد هذا التقرير''[2]. وفي عام ١٩٣٠م، قام بالاشتراك في مؤتمر الطاولة المدورة الأولى التي عقدت في لندن، وأعلن هنلك في أثناء خطابه قائلا:

> ''بأنني سأتجه إلى الهند وفي قلبي شعلة ضرورة الحصول على الاستقلال من أيدي المستعمرين، وإذا لم يقم حفيد الملكة

---

[1] أبو الحسن علي الندوي، المسلمون في الهند ص١٦٤.

[2] د.محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي أفكار ص٢٨٨.

فكتوريا بتحرير الهند، فإنه ينبغي عليه أن يقدم لي شبر أرض، لأنني لا أريد أن أموت في دولة مستعمرة، وإذا لم تمنحوني حرية الهند واستقلالها فإنه يجب عليكم أن تمنحوني شبر أرض لأدفن فيه"[1].

لقد كان مولانا محمد علي صاحب عزيمة وإصرار، وقائدا لا يوجد له ند ولا مثيل، كما أن نشاطاته السياسية لم تنحصر في أرجاء البلاد فقط بل كان بفضل وسعة نظره وعمق تفكيره يتطلع إلى اتحاد دول الشرق أيضا، وقد ذاق هذا البطل مرارة السجن والقيود ولقي أشد أنواع التعذيب والتنكيل فيه أيضا. وقد كان من أهم أهداف مولانا هو توفير الخدمات لأبناء الوطن، فكانت خطبه تبث روحا جديدة في أبناء الوطن للكفاح ضد الاستعمار البريطاني، وقضى حياته في الكفاح ضد الحكومة الإنجليزية وتوفي وهو يحلم بحصول البلاد على الاستقلال. فحقا إن حياة مولانا كانت بمثابة حياة يحب السير على منوالها جميع أبناء البلاد عبر مر الزمان والعصور. يقول رئيس أحمد جعفري:

"إن دور محمد علي في إعادة بناء الهند الجديدة يعادل الدور الذي لعبه كل من غاندي وجواهر لال نهرو وولبه بتيل، وإذا لم أكن أستخدم صيغة المبالغة فإن دوره كان يفوق دور هؤلاء جميعا، لأنهم ساروا على منواله، ونهجوا نهجه في الكفاح ضد الاستعمار"[2].

وقد ساهم "حسرت موهاني" في الكفاح ضد الاستعمار البريطاني وقدم نموذجا مثاليا في مسائل التضحية من أجل الوطن وتحريره، حيث كان

---

[1] د.محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي أفكار ص٢٨٨-٢٨٩.

[2] رئيس أحمد، مقالات محمد علي ص١٠(١٩٤٣م).

يتمتع بالجرأة والبسالة، وكان له نصيبه في الشؤون السياسية مثل مولانا محمد علي جوهر، إلا انه قد اشترك في عمليات مكافحة الاستعمار وهو يعاني من ضيق العيش والرزق، وقد تحمل كل تلك المصائب من أجل هـــذه الغايـــة النبيلة، حيث اشترك في فترة حياته العلمية في الشؤون السياســـية المتعلقـــة بالبلاد أيضا. فتم فصله من الكلية، ولكنه لم يصمد لتلك التيارات الجارفة في طريقه بل بدأ يحذو حذوه وقام بإصدار جريدة أردوية من عليكره، وكـــان طرازها طرازا أدبيا إلا أنها كانت تتخلل من بعـــض العنـــاصر والنمـــاذج السياسية، حيث قام حسرت موهاني بالانغماس في الأمور السياسية، وكـــان يعتبر السياسة جزء لا يمكن للأدب أن ينفصل عنه، ولأنه كان مؤيدا كبـــيرا لحزب المؤتمر القومي الهندي لذا، فإنه كان يتجلى من خلال صفحات هـــذه الجريدة تأييده لهذا الحزب.

لم يكن مولانا حسرت موهاني ينظر إلى المسائل السياســـية الخاصـــة بالهند فقط، بل كان ينظر إلى الشؤون السياسية التي تتعلق بالشرق الأوســـط أيضا، لأنه كان يثق بأن الحرية السياسية لدول الشرق الأوسط من أيـــــدي الاستعمار الإنجليزي ترتبط بمصير استقلال الهند أيضا مـــــن أيـــدي براثـــن الاستعمار الأجنبي. فكان يهتم بجميع الحركات السياسية والإصلاحية الـــتي كانت تنشأ من أجل تحقيق هذه الأهداف النبيلة في أية بقعة من بقاع العالم. ونظرا لذلك تم إلقاء القبض عليه ومعاقبته بالسجن ودفع غرامة تبلغ أكثر من خمسمائة روبية، "وبذلك كان مولانا حسرت موهاني أول زعيم سياســـي يتم إحالته إلى السجن لاشتراكه في عمليات الكفـــاح ضـــد الاســـتعمار الإنجليزي"[1]. وقد كان حسرت موهاني من أحد زعماء الحركة الوطنية وقد

---

[1] سيد سليمان ندوي، حسرت كي سياسي زندكي، مشموله ماهانه نكار، حسرت نمبر، لكناو، يناير وفـــبراير، ص١١٢ عام ١٩٥٢م.

اشترك فيها بكل قوة ونشاط وفتح محلا تجاريا للبضائع الوطنية ''وأصر على أن تكون هذه الحركة مرتبطة بحركة عدم الموالاة والعصيان المدني رغم عدم اتفاق المهاتما غاندي معه في هذا الرأي''[1].

كان مولانا حسرت موهاني يتطلع إلى حصول الهند على الاستقلال التام، وكانت مجلته المعروفة باسم "اردويه معلى" تبين ما كان يحلم به هذا البطل، فاستطاع أن يحيى الشعور السياسي والإدراك بالشؤون السياسية في روح الشعب وأسس النضال في وجه العدو الغاصب. وحاول أن يشعر قراء مجلته بأن حصول العلم والعلوم العصرية هامة جدا، إلا أنها ليست كافية لتحرير البلاد، بل يجب إحياء الإدراك السياسي في الشعب، وجعلهم يدركون بأن الوطن لا يمكن له أن يبلغ الذروة وسبل النجاح وهو يعاني من روح الاحتلال، فحاول ما في وسعه أن يحث مواطني الهنود بصفة عامة ومسلمي الهند بصفة خاصة في المساهمة الفعالة في مسيرة الحركات التي يتم إنشائها من أجل الكفاح ضد الاستعمار الأجنبي. علما بأن مولانا لم يكن راضيا بأي حل أو قواعد تتنافى مع أسس تحرير البلاد كاملة. ''فقام في عام ١٩٢١م، بتقديم قرار يشمل على تحرير الهند كاملة، حيث قام في المرة الأولى برفع هذا القرار أمام الجلسة السادسة والثلاثون لحزب المؤتمر القومي الهندي، التي عقدت في مدينة أحمد آباد ٢٦ ديسمبر ١٩٢١م، وذلك تحت رئاسة مسيح الملك حكيم أجمل خان، ولكن لم يتم التصويت عليه وبالتالي باء هذا القرار بالفشل، فقام برفعه أمام لجنة الخلافة وحزب العصبة الإسلامية أيضا إلا أنه لم يتم التصديق عليه في جميع تلك الجلسات''[2]. علما بأن غاندي لم يجعل الاستقلال التام هدفا لثورته ودفع الشعب الهندي هذه الدفعة

---

[1] خليق أنجم، حسرت موهاني، ص١٨٨ (ببليكيشنز دويزن، الحكومة الهندية ١٩٩٤م).

[2] شفقت رضوي، مولانا حسرت موهان: مجاهد آزادي كامل ص٥٩-٦٠ (كراتشي ١٩٨٨م).

القوية، من أجل الحصول على إصلاحات داخلية فقط، و لم يعتنق حـــزب المؤتمر مبدأ الاستقلال التام إلا في سنة ١٩٢٩م. يقول الدكتـــور راجنـــدر برساد في كتابه "عند قدمي غاندي" بعد أن تحدث عن انعقاد دورة حـــزب المؤتمر السنوية في أحمد آباد:

"ومن مشاريع القرارات التي طرحت على الدورة مشـــروع قرار قدمه مولانا حسرت موهاني وينص على أن هدف المؤتمر يجب أن يكـــون الاســـتقلال النـــاجز، والانفصـــال عـــن الإمبراطورية، وقد أثار هذا المشروع مناقشة حاميـــة ولكنـــه رفض بسبب معارضة غاندي العنيفة له"[١].

ورغم فشل هذه المحاولة التي قام بها مولانا حسرت موهاني فإنـــه لا يمكن لنا أن نقلل من أهمية ذلك السعي والجهد الذي بذله في تحقيق مســـاعي الاستقلال، حيث أن حزب المؤتمر القومي الهندي قام بتحديد منشأ حزبه في حصول البلاد على الاستقلال التام من براثن الاستعمار وذلـــك في عـــام ١٩٢٩م. ورغم كل ذلك فإن مولانا لم يتخلى عن مطالبته هذه بل واصـــل جهوده وسعيه بغية تحقيق المنال، كما تم إلقاء القبض عليه عند بدء حركـــة عدم الموالاة أيضا.

فقد كان مولانا يحاول دائما أن يواصل جهوده مع أبناء البـــلاد في تحقيق حلم الاستقلال من أيدي الاستعمار، وواجه جميع المصائب والشـــدائد وبذل جميع أنواع التضحيات في سبيل ذلك. فقد اتصف مولانا حســـرت موهاني بكونه رجلا مصلحا يتمتع بالإدراك الكامل في مجال السياسة ومتبعـــا لمبادئ الديانة.

---

[١] راجندر برساد، عند قدمي غاندي، تعريب منير بعلبكي ص١٦١.

كما تعتبر شخصية مولانا ظفر علي خـــان شـــخصية امتـــازت بمعارضتها للحكومة الإنجليزية معارضة شديدة، فكان من أحد أبناء عليكـــره الذين بذلوا جهودا بارزة في الدفاع عن الوطن الغالي. وقد امتـــاز في أيـــام دراسته ببراعته في فن الخطابة وقرض الأشـــعار، وبعـــد أن أتم تعليمـــه في عليكره، أراد والده أن يلحقه بإحدى الوظائف الحكومية، إلا أنه كـــان لا يحب حياة العبودية، فلم يقبل تلك الوظائف إطلاقا، وبعـــد أن تفـــوق في ميدان الدراسة تولى منصب السكرتير لنواب محسن الملك، وبعدها ارتبـــط برئاسة ولاية حيدرآباد، وبدأ حياته الصحافية، حيث قام بإصدار جريـــدة "دكن ريفيو" التي اشتملت على المقالات الأدبية والعلمية بالإضافة إلى بعض المقالات التي تناولت الأمور السياسية وقامت بالانتقاد على السياسة الـــتي تتبعها الحكومة الإنجليزية، ولكن لم تستطع الحكومة أن تتغاضى عن كل هذه الانتقادات طويلا، فأحست من خلال هذه المقالات بظهور بعض أنـــواع التمرد والعصيان، فحاولت شد الوثاق على مولانا ظفر علي خـــان، فلـــم يستطع أن يواصل مشواره في هذا المجال، وبعدها انتقل إلى لاهـــور وبـــدأ بممارسة أعماله الصحافية مرة أخرى، حيث ارتبـــط بمجلـــة "زميـــندار" الأسبوعية التي كان يرعاها والده هناك، وقام مولانا في هذه المجلـــة أيضـــا بمواصلة الانتقاد على السياسة الإنجليزية وسوء نظامها واعتبارها معادية لأبناء البلاد، فأصبحت هذه المجلة مشهورة جدا وذاع صيتها بين أبنـــاء البـــلاد، فقامت هذه المجلة ببث روح الحرية والاستقلال في قلوب الناس، ولم تستطع الحكومة تحمل ذلك، فبدأت تنتظر فرصة مناسبة للانقضاض علـــى هـــؤلاء الزعماء، حتى بدأت الحرب العالمية الأولى، فقامت بتبني قانون قامت بموجبه بإلقاء القبض على معظم الزعماء بما فيهم هذا البطل.

لقد استطاع مولانا ظفر علي خان أن يستغل موهبته وعمله في مجال الصحافة ويقوم باستثمارها في تحقيق أهدافه السياسية، كما استخدم موهبة قرض الأشعار وإلقاء الخطب كوسيلة لممارسة أعماله السياسية المعادية للحكومة الإنجليزية أيضا، وقد كان يكتب شيئا حول كل ما كان يحدث من أشياء سواء كانت صغيرة أو كبيرة في هذا الوطن، التي لقنته أصول الواقعية، ''فقد قام مولانا بالاشتراك في معظم الحركات المعادية للحكومة الإنجليزية التي كانت تهدف إلى ضرورة تحرير البلاد من أيدي الاستعمار البريطاني الغاشم، وذاق من أجل ذلك مرارة السجن عدة مرات، وكان من مؤيدي حركة عدم الموالاة لأنه كان يعتبر هذه الحركة بأنها خطوة جيدة نحو الحصول على استقلال البلاد من أيدي الإنجليز، فحاول أن يحث جميع أبناء البلاد على التغاضي عن جميع الاختلافات، والعمل معا نحو تحقيق الغاية النبيلة، والمشاركة في هذه الحركة بشكل فعال ومؤثر، وكان يقول بأنه يجب على المسلمين المشاركة في هذه الحركة وذلك بالتمسك بمبادئ الديانة الإسلامية''[1].

''كان مولانا من أحد زعماء حزب المؤتمر الوطني وذلك حتى عام ١٩٣٥م، إلا أنه انفصل عن هذه الجماعة بعد ذلك والتحق بالعصبة الإسلامية وأصبح من أحد زعمائها البارزين، وقام بأعمال تاريخية في سبيل تحقيق الهدف المنشود''[2].

ومن أحد أبناء عليكره الذي لا بد لنا أن نقوم بذكره هنا هو راجا مهندر برتاب سيننغ، فقد كان يحلم بتحرير البلاد، وبعد أن أتم تعليمه في عليكره، اشترك في الحركات الوطنية، وبدأ يقدم جميع أنواع التضحيات في

---

[1] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص٢١٨.

[2] نفس المصدر ص٢١٨.

سبيل تحقيق الغاية المطلوبة، وأصبح من أحد المعتمدين لدى غاندي، فلم ينحصر جهوده على البلاد فقط، بل قام بجولة لبعض الدول في العالم، ''وكانت نتيجة لجهوده أن قام بتأسيس حكومة بعيدة عن البلاد في مدينة كابل وترأس هذه الحكومة بنفسه، وذلك في عام ١٩١٥م، وبتأسيس هذه الحكومة قام بإنارة مشعل آخر لحرية البلاد، وبدء نشاطاته السياسية والانقلابية في الدول الأخرى، حيث قضى معظم أوقاته في روسيا وألمانيا، لأنه كان يعتقد بان هاتين الدولتين يمكنها التعاون مع الهند لضمان أمن وسلامة العالم والاستقرار السياسي''[1]. ''وبالإضافة إلى ذلك فإنه قام بتشكيل هيئة في اليابان عام ١٩٣٩م، باسم الهيئة التنفيذية الهندية، لمتابعة الحركات القائمة في تحرير البلاد من أيدي الاستعمار الإنجليزي الغاشم''[2]. وكان راجا مهندر برتاب في اليابان بعد نهاية الحرب العالمية الثانية، ولخسارة اليابان في هذه الحرب تم إلقاء القبض عليه، ولم يتم الإفراج عنه إلا في عام ١٩٤٦م. حيث كان يرغب في تشكيل قوات هندية بتأييد من اليابان، لتقوم هذه القوات المشتركة بالهجوم على الهند وتحريرها من أيدي المستعمرين. ''وقد كان يحث على ضرورة اتحاد الهندوس والمسلمين، وقيام الأمن والأمان في العالم''[3].

كما لا يجب علينا أن ننسى الدور الذي لعبه كل من ليـاقت علي خان وتشودهري خليق الزمان وسردار عبد الرب في الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي، حيث ساهموا في مختلف الحركات التي شكلها الهنود لتحرير البلاد.

---

[1] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص٢١٣.

[2] نور الحسن نقوي، محمدن كالج سى مسلم يونيورستي تك ص٣٧٤.

[3] نور الحسن نقوي، محمدن كالج سى مسلم يونيورستي تك ص٣٧٤.

إن من أهم أبناء عليكره الذين ساهموا في حركة الخلافة وحركة عدم الموالاة التي بدأها الهنود بعد الحرب العالمية الأولى، مساهمة فعالة وبذلوا من أجل ذلك جهودا لا نستطيع أن ننكرها، هو الدكتور ذاكر حسين خان، حيث قدم هذا الدكتور كلية عليكره في عام ١٩١٣م، وغادرها أثناء حركة عدم الموالاة في عام ١٩٢٠م، "واتجه من هناك إلى الجامعة الملية الإسلامية التي ظهرت في معرض الوجود نظرا لهذه الحركة"[1]. وقام بخدمتها أكثر من ٣٧ سنة متواصلة، وقد كان يهتم بالتعليم مثل السر سيد أحمد خان، وكان الدكتور صاحب شخصية فذة استطاع أن يدرك الأوضاع السياسية الراهنة في ذلك الوقت، وكان يدرك جميع تلك المشاكل التي تعرقل مسيرة الحصول على الاستقلال المتضمنة في النزاعات المستمرة بين الهندوس والمسلمين ونظام الطبقات في الهند، وكان يعتبر ذلك من أهم الأسباب التي أدت إلى خضوع البلاد تحت سيطرة الحكم الإنجليزي الغاشم. لذا، كان يحاول بذل ما في وسعه في حل تلك المشاكل واستحكام أواصر الأخوة والصداقة بين أبناء البلاد.

وفي الوقت الذي كانت الحكومة فيه متمكنة من السيطرة على الشعب وإخضاعه بالإرهاب أو القوة، كان هناك في إقليم الحدود زعيم مسلم يقف أمام الحكم العسكري المستبد، ويقود الشعب وراءه إلى تحدي الحكومة وكان هذا الزعيم هو "عبد الغفار خان"، المعروف بسرحدي غاندي أي "غاندي الحدود" والذي لقب بفخر أفغان وفخر الهند، لما قام به من خدمات جليلة وتضحيات في سبيل تحرير البلاد، وقد تأثر بجريدة "زميندار" لمولانا ظفر علي خان ومجلة "الهلال" لمولانا أبوا لكلام آزاد في أيام دراسته في كلية عليكره فكرس جهوده لأجل خدمة الشعب، والقيام

---

[1] أبو الحسن الندوي، المسلمون في الهند ص١١١.

بالعمليات الإصلاحية في كل مكان، وقد استفاد من نظريات غاندي والبندت نهرو ومولانا أبو الكلام آزاد لقربه منهم.

كما اتبع طريقة السر سيد في محاولة لإزالة الجهل والضلال وكان يثق بأن العلم والعلوم من أهم أسباب الرقي والازدهار، فحث أبناء البلاد على ضرورة الحصول على التعليم وقام بإنشاء مدرسة في قريته، كما بدأ نشاطاته السياسية في عام ١٩١٣م بمشاركته في جلسة العصبة الإسلامية التي عقدت في آغره، وقد ذاق مرارة السجن عندما ألقى خطابا ضد قانون "رولت" في عام ١٩١٩م ولبث في السجن قرابة ستة شهور، وفي عام ١٩٢٠ اشترك في مؤتمر الخلافة الذي عقد في دلهي، وقد قاد مسيرة المجاهدين في حركة الهجرة إلى أفغانستان، ولكنه عاد سريعا، وقد اشترك في حركة الخلافة أيضا، قضى ثلاث سنوات في السجن بعد ذلك. كما لعب دورا بارزا في حركة الخلافة وحركة العصيان المدني، ولكن من أهم أعماله الذي قام بها قي تأسيسه منظمة خدائي خدمت غار "حركة خدمة الإله" التي كانت في بدايتها حركة إصلاحية واجتماعية خالصة، وقد اختار القميص الأحمر لأعضاء هذه الحركة. لذا، عرفت هذه الحركة بحركة القمصان الحمراء، يقول جواهر لال نهرو:

> "إنه عبد الغفار خان الذي قاوم الحكم العسكري في إقليم الحدود، وأخذ ينتقل من قرية إلى قرية، وينشئ مراكز لذوي القمصان الحمر الأشداء، وأصبح هو ورجاله قذى في عين الحكومة، وكان له في إقليم الحدود مكانة لا تقل عن مكانة غاندي في بقية بلاد الهند، وسرعان ما قويت الصلة بين

الرجلين وبين المؤتمر وذوي القمصان الحمر، وانتهى الأمر بـأن أصبح هؤلاء من هيئات المؤتمر"[1].

لقد قاد هذا الزعيم إقليم الحدود لحرب عنيفة ضد الحكومة الإنجليزية دون أن تكون هناك أية صلة بينه وبين غاندي أو حزب المؤتمر وأنه ألف جيشا من ذوي القمصان الحمر، للقضاء على نفوذ الحكومة الإنجليزية في المنطقة، وذلك بموجب فكرته ووثوقه بفكرة الاستقلال التام. وبعد ذلك تلاقى مع أعضاء حزب المؤتمر الذي اعتنق فكرة الاستقلال التام في عام ١٩٣٠م. ونظرا لجهوده الجبارة في مواصلة الحركة القومية عرض أمامه منصب رئاسة حزب المؤتمر، إلا انه لم يقبل ذلك المنصب قائلا: "ولدت جنديا وسأموت جنديا"[2].

فكان حقا للمسلمين دور بارز في تحرير الهند من هيمنة المستعمر الإنجليزي إبان القرنين الأخيرين –التاسع عشر والعشرين.

---

[1] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند ص١٤١.

[2] د. مختار أحمد مكي، تحريك آزادي أور هندوستاني مسلمان ص٢١٠.

الباب الرابع:

مولانا أبو الكلام آزاد

الفصل الأول:

مولانا أبو الكلام آزاد ودوره في سياسة الهند

الفصل الثاني:

أفكار أبو الكلام آزاد ونظرياته السياسية

مولانا أبو الكلام آزاد ودوره في سياسة الهند

إن فترة انطلاقة حركة التحرير الهندية تعتبر من أزهى فترات تـــاريخ الهند، حيث ظهرت في هذه الفترة نجوم ساطعة في سماء السياسة الوطنيـــة، وارتبطت بالحركة ارتباطا كاملا وغير قابل للانفصام، رغم أن كلا من تلك النجوم عرفت بسمات فردية وشخصيات متميزة. وفي هذه الفترة بـالذات، ظهر على مسرح السياسة الوطنية أبطال أولو عزائم وهمم وقيم ونظريـات عظيمة، تجسد فيهم الثبات والصمود والجـرأة والعزيمـة والقـوة بـأسمى مفاهيمها. وفي نفس الفترة من تاريخ الوطن برز رجال أوفياء مخلصون وعلى أتم استعداد لتقديم تضحيات جسام في سبيل الوطن والشعب، وقد جعلـوا نفوسهم نذرا للوطن وحريته واستقلاله من براثن الاستعمار. علمـا بأنـه يتعسر استيعاب الشخصيات البارزة خلال النصف الأول من القرن المـاضي في الهند ويظهر العجب والعجاب عن كيفية اجتماع هذه الشخصيات ذات المواهب والقدرات المتعددة في بلاد غير متقدمة أيام الرق في عصر واحـد نحو: المهاتما غانديي، رابيندر ناث طاغور، محمد إقبال، موتي لال نهرو، محمد علي جوهر، سي آر داس، أجمل خان، مختار أحمد الأنصاري، مولانا محمـود الحسن، ومولانا عبيد الله السندهي، مولانا حسين أحمد المدني، جواهـر لال نهرو، أبو الكلام آزاد، سروجني نايدو، سباش تشندر بوس وغـيرهم مـن الأعلام البارزين الذين لعبوا دورا هاما في سياسة الهند وذاع صيتهم في الهنـد وفي أرجاء العالم كله.

الجدير بالذكر، أن التاريخ حافل بأسماء ارتبطت بحركات وثـورات وتغييرات اجتماعية وعمرانية وثقافية. وفي تاريخ الهند المتمثل في الكفـاح لأجل نيل الحرية والاستقلال من الاستعمار الإنجليزي، فإننا نجد بأن اسم أبو

الكلام آزاد يأتي في مقدمة قادة طلائع الحرية. حيث كان من أحد الزعماء المسلمين الذي كان له دور قيادي وفعال في إيقاظ المسلمين من سباتهم وفي حركة تحرير البلاد من أيدي الاستعمار الأجنبي، حتى نالت البلاد استقلالها بعد أن قام من شرخ شبابه بحركته الإصلاحية الدينية والتحريرية بين المسلمين. في حين امتاز دوره السياسي بعلم وشرف وعزيمة وإخلاص وعرف بالتمسك بالقيم النبيلة فجمع بين خصائص عدة، فكأنه عاش حياة استوعبت جوانب تتطلب أكثر من حياة على الأقل. فلم يتأثر بعصره بل أثر فيه، ولم يقلد زمانه ولكن الزمان قلده وتابع سيره واقتفى أثره.

''محي الدين أحمد المكنى بأبو الكلام آزاد، ووالده هو مولانا خير الدين بن مولانا محمد هادي بن شاه محمد أفضل بن مولانا محمد حسن''[1].

ولد في مكة المكرمة عام ١٨٨٨م، وقدم إلى مدينة كلكتا مع والده في أيام الطفولة، ولكن القدر لم يمهل والدته بعد سفرها للهند طويلا حيث توفيت بعد ذلك بسنة ودفنت بترابها، فحصل على التعليم الابتدائي في بيته تحت رعاية والده لأن أباه كان كارها للإنجليز ومدارسهم ونسق حياتهم.

''وكانت تبدوا عليه منذ نعومة أظفاره علامات الذكاء والنبوغ مما جعله يقبل على العلوم وينبغ فيها، واستطاع بفضل ذكائه وفطانته وبصيرته الفذة أن يجمع بين العلوم الدينية والدنيوية وهو في السادس عشر من عمره''[2].

وبدأ يعلم ويلقي دروس الفلسفة والمنطق والحساب على أكثر من خمسة عشر طالبا. ومن أهم ميزاته حسن كلماته وفصاحة بيانه وفكره السليم. وكان محبا للقراءة وأحب الاستطلاع والمطالعة، وكان يتصفح الجرائد والمجلات العربية التي كانت تصدر في جمهورية مصر العربية وسوريا

---

[1] أبو الكلام آزاد، تذكرة ص ٣١ (المرتب مالك رام، ساهتيه أكاديمي، نيودلهي ١٩٦٤م).

[2] مالك رام، كتشه أبو الكلام آزاد كي بارى مين ص٣٥ (مكتبة أبو الجامعة المحدودة –نيودلهي– ١٩٨٩م).

وما جاورها. ''وبدأت تظهر بعض علامات الانقلاب في أفكاره الدينيـــة، فأصبح يخالف نهج والده المشتمل على التقليد واتباع نهج السلف، وبدأ يؤيد الأفكار الدينية للسر سيد أحمد خان''[1].

وقد خرج من عراكه النفسي إلى قرار اتخذه، يشتمل في التحرر مـــن القديم الموروث أو من كل تأثير له عليه، ثم واصل دراسته على ضوء عقلـــه وفكره ومعلوماته الجديدة ليصل إلى ما يراه الحق، مما كان ســـببا في ســـوء العلاقة بينه وبين أبيه، إلا أن ذلك لم يؤثر على عزمه إطلاقـــا، فخـــرج في طريقه الجديد متنقلا بين مدينتي كلكتا وبومباي متصلا بمن يختاره ويميل إليـه من العلماء وأهل العلم والرأي. وهنا اختار لنفسه رمزا جديدا فلقب نفســـه بـــ "آزاد" أي الحر وفقا لخطة التحرير الذي بدأ يسلكها ويتبعها. وفي عـــام ١٩٠٤م، التقى بمولانا شبلي النعماني وتأثر بأفكـــاره ونمـــاذج خطواتـــه السياسية. وبعد أن تولى رئاسة تحرير جريدة "الوكيل" مرة أخرى أصبحـــت أفكاره السياسية تميل نحو الوطن وتعزيز جهود أبناءه، ولم يستطع أن يواصل مشواره مع هذه الجريدة طويلا. وفي تلك الأيام، اتصل بالسيد/ شيام ســـندر جكرورتي وبعض أعضاء الحركات الثورية والانقلابية في ولاية البنغال. وظل مرتبطا بتلك الحركات لسنوات عديدة.

بدأت الحكومة الإنجليزية باتباع سياسة جديدة، فقـــامت بتقســـيم البنغال إلى قسمين قسم هندوسي وقسم إســـلامي عـــام ١٩٠٥م. الـــذي أحدث ضجة كبيرة في الهند، فتأثر به مولانا آزاد تأثرا عميقا. رغم أن بعض المسلمين اعتبروا ذلك إنصافا لهم وتحقيقا لآمالهم، يقول ســـليم الله خـــان نواب:

---

[1] د.محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي افكار ص٣٠٦ (ترقي أردو بيورو نيودلهي ١٩٨٥م).

"لقد منحنا التقسيم فرصة عظيمة لكي نتحرك، وأيقظ في قلوبنا خفقات قومية جديدة سكنت دقاتها خلال تعاقب الفصول في البنغال"[1].

وبذلك التقسيم وقع خلاف شديد بين المسلمين والهندوس وازدادت حدته، فوقف حزب المؤتمر القومي وقفة عنيدة ضد هذا التقسيم، لما رأى فيه من أخطار على مستقبل الهند، حتى أن بعض المسلمين المنتمين إلى حزب المؤتمر كانوا يعارضون هذا التقسيم. وظل الأمر محتدما بين الأطراف المعنية قرابة ستة سنوات، فقام الإنجليز بإلغاء هذا التقسيم سنة ١٩١١م. علما بأن هذه الفترة كانت فترة اضطرابات عنيفة. حيث بدأ مولانا أبو الكلام آزاد ينهمك في الأمور السياسية والجهاد من أجل الوطن. لذا، اتجه إلى الثوار الهندوس، وحاول إقناعهم بقبوله في صفوفهم. ومن دواعي ذلك، أنه كان يرى بأن الكفاح من أجل تحرير البلاد من المحتلين فرض على جميع المواطنين، والمسلمون في مقدمتهم باعتبارهم أمة الإسلام، الذي يفرض الجهاد عليهم في مثل هذه الظروف، لأنه لا بد أن يرحل المستعمر في يوم من الأيام، ولا يليق بالمسلمين أن يسجلوا في تاريخهم عدم مشاركتهم في طرد المستعمرين من بلادهم، فيسجلوا بذلك عارا للأبد عليهم. حيث يقول في إحدى مقالاته الصادرة في مجلة الهلال الأسبوعية مستهلا بآيات من الذكر الحكيم:

"يا قوم اعلموا وأدركوا بأنه ما قدر أن يكون فإنه لا بد أن سيكون، وما من أحد يحول حدوثه، وسيأتي اليوم الذي تكون فيه الهند قد اجتازت آخر مراحل التطور السياسي، وسيسجل

---

[1] عبد المنعم النمر، كفاح المسلمين في تحرير الهند ص٦٣ .

التاريخ تقدم البلاد وخطواتها في سبيل النهضة، أفلا فكرتم فيما سيسجله التاريخ عنكم"[1].

الجدير بالذكر، أن أفكار مولانا أبو الكلام آزاد السياسية رهينة إلى حد كبير لتأثره بالنشاطات السياسية لجمال الدين الأفغاني والشيخ محمد عبده، حيث كان جمال الدين الأفغاني مقتنعا بأن الإسلام يمثل قوة كبيرة في التاريخ وهو دين عالمي يسد جميع متطلبات الزمان، وكان مؤيدا كبيرا للوحدة الإسلامية ومصلحا أيضا. أما تلميذه محمد عبده فقد سلك مسلكه وتصدى للحضارة الغربية وكان حريصا على إحياء الإسلام حيث لعبت مجلته المعروفة بـ "العروة الوثقى" دورا بارزا في إصلاح المجتمع البشري، فتأثر أبو الكلام آزاد بهم كثيرا حتى نرى بصمات واضحة لهم على كتاباته ومقالاته وطريقة معالجته لمختلف القضايا. كما زار آزاد بعض الدول العربية فتوسعت دائرة أفقه الفكري وتكون مزاجه السياسي، وقام بمقابلة كثير من الثوار العرب من أمثال مصطفى كمال وغيرهم. وخلال هذه اللقاءات توصل إلى النتيجة بأن المسلمين في الهند لا ينبغي لهم أن يبقوا بمعزل عن التيار الرئيسي للسياسة الهندية. فاستعد أبو الكلام آزاد لإيقاظ المسلمين من الركود والجمود وشد عضده لإنقاذهم من الذل والهوان التي تسلطت عليهم منذ دخول الحكومة الإنجليزية في البلاد. فأقنع أبناء الهند بضرورة الكفاح لنيل الاستقلال والحرية وبث الروح الدينية والعزة الإسلامية في نفوس المسلمين بواسطة مجلتيه الأسبوعية الهلال والبلاغ.

يعتبر عام ١٩١٢م، عاما حافلا وذا أهمية بالنسبة لأبو الكلام آزاد، لأنه أصدر مجلة الهلال الأسبوعية من كلكتا. واتخذها وسيلة للقيام بدعوة المسلمين إلى الإسلام والتمسك بالكتاب والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن

---

[1] عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد ص٨٦ .

المنكر، كما قام بحث العلماء على ضرورة الاهتمام بالأمور السياسية من جهة وغرس بذور حب الإيمان والإسلام في قلوب الطبقة التي كانت تتلقى العلوم الغربية والعصرية من جهة أخرى. كما أنه كان مضطربا شديد الاضطراب لأوضاع المسلمين في الهند، التي كانت تتسم بالتشتت الديني والتفكك الاجتماعي والانحطاط السياسي. فهاجم من خلال مقالاته في مجلة الهلال على التقاليد القديمة والعادات الموروثة والجهالة الأمية، واستخدم أسلوبا ناريا ملتهبا مستمدا قوته من الدين، "فاستطاع أن يثير همم المسلمين، حتى يتقدموا الصفوف في الكفاح ضد الاستعمار الإنجليزي الغاشم للبلاد، ليسجل التاريخ لهم صفحات المجد والفخار"[1].

فكانت كلماته تؤثر في قلوب المسلمين، وتحثهم وتذكرهم بمهماتهم تجاه وطنهم الغالي وإخوانهم. "حتى وجدنا أن زعيما من مجاهدي الهند العلماء وهو مولانا محمود الحسن الزعيم الذي كان يحمل لقب شيخ الهند، واعتقله الإنجليز في مالطا أثناء الحرب العالمية الأولى وتوفي سنة ١٩٢٠م، نجد هذا الرجل مع قدره في الجهاد والعمل، وتقدمه في السن والتجربة، تلفت "الهلال" نظره، وتنتزع تقديره فيقول "كدنا ننسى مهماتنا فذكرتنا بها الهلال". وهي ليست كلمة عابرة من رجل عادي، ولكنها شهادة صدق من رجل مجاهد يعتبر أستاذا لآزاد في الدين والوطنية"[2].

وقد قام بتفسير صورة الاستقلال السياسي على ضوء الإسلام فكتب في مجلة الهلال:

> "بالنسبة للهندوس فإن النضال من أجل الاستقلال هو عمل وطني ولكنه بالنسبة للمسلمين واجب ديني بدون شك"[3].

---

[1] عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد ص٨٦ .

[2] نفس المصدر ص ٨٦.

[3] مجلة ثقافة الهند الصادرة في عام ١٩٨٨م ص ١٠.

إن من أهم أهداف مولانا أبو الكلام آزاد، في إصداره هـــذه المجلـــة كمنت في غرس بذور حب الدين في قلوب المسلمين وترتيـــب صفوفـــهم الاجتماعية من جديد وغرس بذور الكفاح من أجل الحصول على الاستقلال السياسي، وضرورة الاشتراك في صفوف حزب المؤتمـــر القومـــي الهنـــدي وحركة الحزب الوطنية.

وفي بداية الحرب العالمية الأولى، أحس الإنجليز خطرا كبـــيرا علـــى مستقبلهم من نشاطاته، وإقبال الناس عليه، فعملوا على إيقاف المجلة وفـــرض الحظر عليه. فأغلقت المجلة في يونيو عام ١٩١٥م. ولكن طبيعة آزاد الحرة لم تدعه يمتنع عن رفع الأصوات ضد الظلم والاضطهاد، فبعد فـــترة وجـــيزة أصدر مجلة أخرى باسم "البلاغ" في نوفمبر عام ١٩١٥م حيث إن هذه المجلة لم تكن تختلف عن أختها، لذا لم تدم طويلا حيث أغلقت هذه المجلة أيضا في مارس عام ١٩١٦م.

وقد أصدر مجلة الهلال بعد إحدى عشرة سنة في يونيو عـــام ١٩٢٧م مرة أخرى. وقد أغلقت هذه المجلة نهائيا في ديسمبر من نفس العـــام. ''ولم تكن تمتاز هذه المجلة بمستوى المجلة السابقة من لهجتها البلاغية والأســـلوب الناري الملتهب لأجل النشاطات والمغامرات السياســـية والمكثفـــة في هـــذا الزمن''[١].

وتعلم مولانا آزاد المبادئ السياسية وأساليبها من زعماء البنغال الذين كانوا يقومون بتنظيم حركات ثورية سرية ضد الحكومة الإنجليزية، فســـاهم معهم برهة من الزمن، وبعدها انقطع عن تلك الحركات، وجعل يصدر مجلته الأسبوعية الهلال، كأنه يريد أن يجرب نفس تلك الحركة بـــين المســـلمين ويحرض عواطفهم ضد الإنجليز وأعلن وبكل صراحة أن الكفاح والجـــهاد

---

[١] عرش ملسياني، أبو الكلام آزاد ص٣٣ (وزارة الاطلاعات وانشر، الحكومة الهندية، ١٩٩٥م)

لتحرير الوطن من أيدي المستعمرين هو فرض على المسلمين، وبعدما استطاع أن يؤثر في قلوب الناس ويهذب الرأي العام بأسلوبه الخاص بإصدار مجلة الهلال الأسبوعية وخطبه، أعلن تأسيس حركة سياسية ودينية سماها باسم حزب الله إلا أن سوء الحظ لعب دورا هاما في أن تموت الحركة قبل أن تولد وتنشأ، حيث قامت الحكومة الإنجليزية بإلقاء القبض عليه وزجه في السجن.

لقد كان آزاد في مقدمة الزعماء والقادة الذين أبلوا بلاء حسنا في خدمة الخلافة العثمانية ومساندتها حيث يقول:

> ''إن كل مسلم أيا كان في رقعة من الأرض، فإذا كان من واجباته أن يعمل على بقاء الإسلام ، فإن من فرائضه أن يحافظ على مكانة الخلافة العثمانية في قلبه وأن يعد الدولة التي تعتدي عليها من أعداء الإسلام''[1].

وكان أبو الكلام آزاد من بين المجاهدين الذين استطاعوا أن يحصلوا على تأييد حزب المؤتمر لحركة الخلافة ووضع هذه الحركة مع المطالبة بالاستقلال في قائمة مطالبات أبناء البلاد. و لم يستطع آزاد أن يتغافل عما يجري حوله وعن دعوته فاندفع نحو العمل السياسي، واختار آزاد الانضمام إلى حزب المؤتمر الوطني، فأصبح قريبا منها حيث أعلن غاندي تأييده للمسلمين في مطالبهم المتعلقة بالخلافة.

بدأت حركة عدم التعاون لتحرير البلاد بقيادة غاندي علم ١٩٢١م، فكان المسلمون أسرع الناس إلى فهم الحركة والاستجابة لها، وقد أقر المؤتمر المنعقد في كلكتا وناغبور الأخذ بهذا المبدأ. ''وهكذا سرت في البلاد فكرة عدم التعاون، يغذيها زعماء المسلمين بتوجيهاتهم الدينية، كما يغذيها غاندي

---

[1] ثقافة الهند، المجلد ٥١، العدد ١ ص٦٢ –٢٠٠٠م.

بدعوته وكان آزاد في مقدمة الزعماء المسلمين حماسا للخلافة ولقضايا وطنه ولمقاطعة الإنجليز"[1].

وقد طاف آزاد جميع أرجاء البلاد لدعوة الناس إلى عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزية ونتيجة لذلك تم القبض عليه وزج به في السجن عام ١٩٢١م. "وقد سبق أزاد غاندي في فكرة عدم التعاون والمقاطعة مطبقا لوجهة النظر الإسلامية في موقف المسلمين من أعدائهم ولا سيما الحاكمين لهم وهي عدم الولاء لهم أو عدم التعاون معهم"[2].

وفي الوقت الذي كان مولانا أزاد يتخطى نحو نجاح هذه السياسة المتمثلة في عدم التعاون والولاء للإنجليز، إلا أن الحادثة التي وقعت في قرية "تشوري تشورا"، قرية تقع في ولاية أترابراديش، قد سببت في فشل هذه الحركة إثر إعلان غاندي بوقف هذه الحركة نظرا لتلك الحادثة، ولم تترك الحكومة هذه الفرصة الذهبية بدون أن تقوم باستثمارها لقمع جميع الحركات الوطنية الهندية التي قد تسبب تهديدا على حكومتها، فقامت بإلقاء القبض على الكثيرين وفي مقدمتهم غاندي وحكمت عليه بالسجن لمدة ست سنوات. إلا أنه وبعد فشل حركة عدم التعاون والعصيان، لم يطرأ على أفكار مولانا آزاد أية تغييرات وظل يساهم في نشاطات حزب المؤتمر. وفي عام ١٩٢٣م، ترأس الجلسة الخاصة للحزب، وكان يؤمن بضرورة اتحاد المسلمين والهندوس من أجل تحقيق هذه الغاية النبيلة. وكان يقف بالمرصاد أمام جميع تيارات النزاعات الطائفية وجميع أنواع العداء بين المسلمين والهندوس. وقد ذاق مرارة السجن في حركة العصيان المدني علم ١٩٣٠م و عام ١٩٣٢م أيضا. وحصل على رئاسة جلسات حزب المؤتمر في عام

---

[1] ثقافة الهند، المجلد ٥١، العدد ١ ص٦٣ –٢٠٠٠م.

[2] نفس المصدر ص٦٤.

١٩٤٠م، لأكثر من ست سنوات متتالية. وقد تزعم "حركة غادروا الهند" (QUIT INDIA MOVEMENT) عام ١٩٤٢م أيضا، ونتيجة لهذه الحركة تم إلقاء القبض على معظم أعضاء اللجنة العاملة في حزب المؤتمر ومن بينهم أبو الكلام أزاد وتم حبسه في قلعة في "أحمد نغر". مرضت زوجته وهو في هذا الحبس مرضا شديدا، فأشار عليه بعض المسؤولين الإنجليز أن يطلب رخصة لعيادة زوجته فأبت قوميته أن يمد يده أمام المستعمرين الغاشمين وتوفيت زوجته.

وكان يعارض فكرة تقسيم البلاد التي كان يتبعها حزب العصبة الإسلامية. وظل متمسكا بعقيدة الوطنية. ويتابع مطالبته ومطالبة الحزب باستقلال الهند من براثن الاحتلال، وقضى أشهرا عديدة يقوم بإجراء مناقشات ومحادثات مع بعض الوزراء والوكلاء البريطانيين بخصوص نقل السلطة السياسية إلى أيدي أبناء البلاد. ولكن للأسف الشديد، شهدت القارة الهندية تقسيم البلاد، فتأثر بذلك كثيرا، وبما خلفته من نتائج وخيمة متمثلة في ظهور النزاعات الطائفية، وقد أثمرت جهوده ومثابرته على الشدائد عندما نالت الهند استقلالها في ١٥ أغسطس عام ١٩٤٧م. فكان بمثابة فتح مبين للهند التي برزت كدولة مستقلة ونالت الحرية من الاستعمار الأجنبي.

وبعد هذا الانتصار العظيم بدأت مرحلة حياته الأخيرة بتحمل المسؤوليات الجديدة، حيث كان عليه أن يدبر أمور الدولة لبناء العلاقات الثنائية بينها وبين الدول الأخرى في العالم، وحاز على منصب وزير التعليم والثقافة في الهند المستقلة، وقبل هذا المنصب نظرا لما يحمله التعليم من أهمية للجيل الجديد، فحاول إصلاح النظام التعليمي في البلاد. ولتحقيق الأهداف المتمثلة في اتحاد العالم، حث مولانا آزاد الحكومة الهندية بضرورة إنشاء

منظمة لتنمية العلاقات الثقافية بين الشعب والأقوام تحت راية "المجلس الهندي للعلاقات الثقافية"، ولعب هذا المعهد (ICCR) دورا بارزا في إزالة سوء التفاهم السائد في المجتمع الدولي عن الهند وخاصة المجتمع العربي. علما بأنه ظل على ذلك المنصب يبذل قصارى جهوده لخدمة الشعب الهندي والحكومة الهندية وظل يثابر أثناء عمله إلى آخر حياته، ولفظ أنفاسه الأخيرة ملبيا نداء ربه في عام ١٩٥٨م.

ولم يتجه آزاد للوطنية في إيقاظ المسلمين فقط بل اتجه للدين ولتلويخ المسلمين، لما يحمله المسلمون من مسؤولية على عاتقهم المتمثلة في ضرورة سعيهم في الكفاح ضد المستعمرين لتخليص أنفسهم والأمم الأخرى من عار العبودية لأنهم هم أصحاب رسالة الحرية والكرامة. "وركز على نقطة إحياء الروح الدينية في نفوس المسلمين كمبدأ انطلاق لجهادهم ضد الاستعمار، وكان هذا الارتكاز الطبيعي الذي يتمشى مع نفسيات الشعوب، والذي ارتكز عليه جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وكذلك النهضات الإسلامية الأخرى"[1].

الجدير بالذكر أنه كان شخصية نادرة قل أن يجود الزمان بمثلها، فقد جمع رحمه الله بين الإمامة في الدين والعلم والأدب وفي السياسة أيضا. علما بأنه يحتل مكانة عالية ومنزلة رفيعة في حركة التجديد الديني في الهند، حيث لا يقل شأنا عن غاندي بل يفوقه في إدارة الأمور السياسية بدقة وإحكام. وكان متفوقا عليه في فهم وإدراك مقتضيات الكفاح والنضال أيضا.

---

[1] عبد المنعم النمر، أبو الكلام آزاد ص٧٧ .

أفكار أبو الكلام آزاد ونظرياته السياسية

إن منبع النظريات السياسية لهذا المصلح الديني والزعيم السياسي تنبع من القرآن الكريم وتستمد من الدين قوتها وصلابتها وإيمانها المتمثلة في اتباع القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، ونبذ التقليد والجمود الفكري والقضاء على البدع والخرافات. حيث قام بواسطة مجلته الأسبوعية "الهلال" بالانتقاد اللاذع على أفكار السير سيد أحمد خان السياسية ونشاطات مدرسته أيضا. فقد كان يعارض الآراء التي تمنع المسلمين من الاشتراك في النشاطات والشؤون المختصة بالمجال السياسي الذي كان السير سيد أحمد خان يقوم بحمايتها، وهم القادة الذين حكموا البلاد منذ أمد بعيد. لذا، قام بحث المسلمين على ضرورة المساهمة والخوض في الأمور السياسية.

وقد كان محبا للحرية ومن أحد كبار المحامين لذلك، حيث كان يعتبر ذلك حقا من حقوق الإنسان الرئيسية. وكان يؤمن بوجوب حصول الجميع على الحقوق المشروعة، واتباع كافة الطرق التي حث عليها الإسلام والتي تعرض سبل الحصول على ذلك.

وكما ذكرنا سابقا بأن مولانا أزاد تأثر بأفكار السير سيد احمد خلن في البداية، إلا أن هذا التأثر الشديد لم يدم طويلا بل وقف مولانا آزاد ضده بعد زمن قصير وقام بالانتقاد والاعتراض عليه بعدما بدا له بأن الطريقة التي سلكها السير سيد أحمد خان تؤدي إلى الإلحاد لا الإسلام، لأنه بالغ في الاجتهاد وتجاوز جميع الحدود والقيود حتى واجه هجمات عنيفة في هذا الصدد. علما بأن مولانا أبو الكلام آزاد كان يقدر مساعيه في مجال التعليم والتربية والاجتهاد والدعوة إلى تجديد الدين وإلى الفكر الحر، ولكنه مع ذلك كان يخالفه لتفسيره للآيات القرآنية بمجرد العقل والضمير. كما أن دعوة

السر سيد أحمد خان للمواطنين بعدم المشاركة في حركة الاستقلال ومد يد المعونة للحكومة البريطانية كان سببا في مواجهته للهجوم العنيف من قبل العلماء وعلى رأسهم مولانا آزاد. ''وكان مولانا آزاد يعترض على الطريق الذي اختاره السر سيد أحمد خان للمسلمين واعتبره خاطئا جدا. لأن مسائل مسلمي الهند لم يكن من الممكن التوصل إلى حل لها بدون حل مسائل العالم الإسلامي فقد اعتبر بأن المسلمين قد أهدروا فترة تزيد على أربعين سنة بسبب عدم التفاتهم نحو الشؤون السياسية وانهماكهم في المجال العلمي فقط. وكان يعتبر بأن من أهم أسباب ضعف حركة عليكره بأنها كانت مرعوبة من حضارة الغرب وطريقة عيشهم وتمدنهم وحضارتهم. لذا، كان خريجو هذه المدارس يتسمون بعدم حبهم لتراثهم القديم وما يتعلق به. وكان متفقا بسياسة ضرورة اتحاد العالم الإسلامي الذي كان يتبعها جمال الدين الأفغاني، الذي دفعه على معارضته الشديدة للسير سيد أحمد خان وحركته. حيث كان يعتبر بأن السياسية هي جزء لا يمكن فصله عن الإسلام ومبادئه''[1].

وبعد فشل حركة عدم التعاون وانتهاء حركة الخلافة على يد مصطفى كمال، فإن مولانا آزاد أصبح يعتقد بأنه يجب على المسلمين الهنود الانضمام إلى صفوف حزب المؤتمر القومي والكفاح معهم جنبا إلى جنب، للحصول على الاستقلال من براثن الاستعمار، واثقا بأن الاستقلال هو الحل الوحيد لمسائلهم. وكان يعارض سياسة الإمبراطورية الإنجليزية بسبب أنها كانت تتبع نظاما غير ديمقراطي وتقوم باضطهاد أبناء البلاد بصفة عامة، والمسلمين بصفة خاصة، وتقوم بسلب الحرية المدنية المشروعة منهم، وكان يحث دائما على ضرورة اتحاد المسلمين والهندوس وإقامة العدل والمساواة

---

[1] د. محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كي سياسي أور سماجي افكار ص٣١٢ (ترقي أردو بيورو نيودلهي ١٩٨٥م).

بينهم، واثقا بأن هذه الاتحاد سيعمل على إحباط القوة الاستعمارية ومقاومة سياستها الاستبدادية. وكان يعتبر ذلك الأمل الوحيد الذي سيعمل في وضع الأساليب الجيدة والمحكمة لطرد القوة الاستعمارية من أراضي البلاد، كما كان يفضل اتحاد المسلمين والهندوس على حصول البلاد للاستقلال واثقا بأن الأخوة والصداقة المستدامة بين أبناء البلاد تعتبر ضرورية لتحسين المستوى الاجتماعي والاقتصادي أيضا. يقول مولانا آزاد في خطبة له عن هذا الاتحاد:

"لو نزل ملك من السماء على منارة قطب وأعلن بأن الحرية سيتم الحصول عليها في يوم وليلة بشرط أن نستغني عن اتحاد المسلمين والهندوس، ففي تلك الصورة سأستغني عن هذه الحرية ولن أتنازل عن الاتحاد، لأن التأخير في نيل الهند الحرية خسارة على الهند وحدها، ولكن الحرمان من الاتحاد خسارة على العالم والإنسانية بأكملها"[1].

"وقد اتفق على معاهدة بنغال التي أصدرها السيد/ سي آر داس عام ١٩٢٣م، حيث كان يثق بأنه بموجب هذه المعاهدة سيتم حل المشاكل الواقعة بين المسلمين والهندوس في ولاية بنغال بطريقة سلمية وعادلة"[2].

وقبل الحرب العالمية الأولى وحتى بعد ذلك، فإن السياسة الخارجية للحكومة البريطانية كانت تعتمد على أساس اضطهاد المسلمين، وهذا من أهم الدوافع التي ساهمت في معارضته الشديدة للإمبراطورية البريطانية.

الجدير بالذكر أنه لم يكن يرى أي تضاد في كونه مسلما ومواطنا هنديا، وكان في نفس الوقت محبا للوطن من جهة ومسلما شديد الإيمان من

---

[1] أبو الكلام آزاد، خطبات آزاد ص٥ (المرتب مالك رام، ساهتيه أكاديمي، نيودلهي-١٩٩٧م).

[2] د. محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي افكار ص٣١٦ (ترقي أردو بيورو نيودلهي ١٩٨٥م).

جهة أخرى. وقال في إحدى خطبه التي ألقاها أثناء رئاسته لجلسة حـــزب المؤتمر التي انعقدت في مدينة رام كره عام ١٩٤٤م:

"أفتخر بأني مواطن هندي، وأنا جزء لا يمكن فصلـــه عـــن القومية الهندية التي تعتبر غير قابلة للانفصام، علما بأن البنـــاء الهندي لن يصبح مكتملا بدوني"[١].

أما عن أهمية الوظائف الحكومية بالنسبة للمسلمين وضرورة بحثـــهم لسبل الحصول عليها فان مولانا أبو الكلام آزاد لم يكن يهتم بها كثيرا، "إلا أنه كان يعتبر بأن حصول المسلمين على الوظائف الحكومية سيعمل علـــى تحسين مستوى معيشتهم وأحوالهم الاقتصادية، الـــذي ســـيعزز أهميتـــهم ووقارهم في الحياة العامة"[٢].

وكان لا يعتبر بأن التقسيم هو حل لقضايا المسلمين في الهند. "فلـــم يخالف سياسة التقسيم نظرا لدوافع سياسية بل لأسباب دينية بحتة، وأيقـــن أن التقسيم لن يعود بالنفع على البلاد أبدا، وسيكون مضرا في حق المسلمين بصفة عامة. علما بأنه كان يعتبر أساس التقسيم منافيـــا لـــروح الإســـلام ولتعاليمه السمحة لأنه يدل على أن هناك جزأين من الأراضي جزء طـــاهر والآخر غير طاهر"[٣].

فقد كرس آزاد حياته كلها لخدمة القوم والوطن وبذل مجـــهودات جبارة في الكفاح ضد الاستعمار الأجنبي وكانت حياته بالفعل ذات أبعـــاد متنوعة، اتصفت بصفات جمة. وورد جميع المناهل واغترف من كل الينـلبيع، فكان عالما ومفسرا، محققا ومؤرخا، أديبا وشاعرا، وباعثا لحركة الإصـــلاح الديني بين المسلمين، كما كان من أبرز قواد حركة التحرير الوطني، الـــذي

---

[١] د. محمد هاشم قدواي، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي افكار ص٣١٧ (ترقي أردو بيورو نيودلهي ١٩٨٥م).

[٢] INDIA WINS FREEDAM BY ABUL KALAM AZAD Page No. 18.

[٣] INDIA WINS FREEDAM BY .ABUL KALAM AZAD Page No. 127

ساهم في إحياء الروح الإسلامية في النفوس ودفع المسلمين إلى التقـــــدم في حركة التحرير الوطنية تطبيقا لتعاليم دينهم السمح.

الخاتمة

كان للحركات الإصلاحية الإسلامية في الهند دور مباشر في تحرير البلاد من هيمنة المستعمر الإنجليزي إبان القرنين التاسع عشر والعشرين حيث ساهمت هذه الحركات في رفع معنويات أبناء البلاد وحثهم على التمسك بالشريعة الدينية وتوحيد الصفوف لمكافحة العدوان الأجنبي بكل السبل والوسائل.

ظهرت حركة شاه ولي الله الدهلوي الإصلاحية، والإمبراطورية المغولية تعاني من أشد أنواع التدني والتدهور حيث تفاقمت الأحوال وأثرت سلبا على جميع المجالات وخاصة المجال الديني، فعمل هذا المصلح لإنشاء حركة إصلاحية في شتى المجالات وبدأ يخطط في وضع أسس محكمة في تشريد المستعمرين من البلاد. واستلم ابنه شاه عبد العزيز لواء الحركة الإصلاحية بعد وفاته، فبدأ بتغيير نهج وأسلوب هذه الحركة تدريجيا لأنها بدأت تتأثر بالتقلبات السياسية في البلاد، وعندما شاهد شاه عبد العزيز هذه النكبات والاضطهاد الذي حل بالمسلمين وتطلع إلى أسباب ذلك، أعلن وجوب الجهاد ضد الإنجليز في عام ١٨٠٣م، وأفتى بضرورة ترك الأعمال والوظائف لدى الإنجليز، وبدأ يلحق تلامذته في الجيش، فتولى سيد أحمد الشهيد مسؤولية الحركة بعد وفاته، وفضل أن يكون جنديا ماهرا بدلا من أن يكون شيخا راسخا في العلوم والمعارف، فوقفت حركته بالمرصاد أمام العداء الإنجليزي، واستطاع بذلك حقا أن يتوج الحركة التي ابتدأها شاه ولي الله الدهلوي وابنه شاه عبد العزيز تتويجا سياسيا بتا في بدأ حركة التحرير من القوة المستعمرة. وأوقد في قلوب المسلمين شعلة الإيمان والحماسة الدينية الإسلامية وحرضهم على الجهاد في سبيل الله، فتلقت جماعته ترحيبا من قبل جميع طبقات الشعب حتى لعبت حركته دورا هاما في عملية نهوض المسلمين.

حركة الهجرة وحركة الخلافة وعدم التعاون والموالاة، ولم تلفظ أنفاسها الأخيرة حتى استطاعت أن تخرج المستعمرين من الهند وأرجائها. وكذلك فإن جمعية علماء الهند التي ساهم في إنشائها علماء ديوبند لتكون جمعية تهتم بشؤون المسلمين وتقوم برعاية مصالحهم، وقفت بجانب حزب المؤتمر القومي الهندي أمام العدوان الإنجليزي حتى استطاعت أن تظفر بحرية البلاد.

كما قام السر سيد أحمد خان بدراسة نتائج ثورة التحرير الهندية ١٨٥٧م، وآثارها السلبية على المسلمين، وشاهد تأخرهم عن ركب الثقافة وتوصل إلى النتيجة أن المزيد من هذه الاشتباكات لن تجدي بشيء. وأدرك بأن المسلمين لا يعانون إلا من اليأس والفقر وعدم الثقة لأنهم لم ينالوا قدرا كافيا من العلوم والثقافة الغربية العصرية. لذا قام بإنشاء حركة تقوم على أساس إبعاد المسلمين عن صخب وضجيج السياسة التي ظهرت على شكل مدرسة العلوم عام ١٨٧٥م.

ومن الواضح بأن طبقة خاصة من المسلمين لم تستطع أن تدرك أهمية حركة عليكره التي شرعها السر سيد أحمد خان، إلا أنهم بدأوا يدركون روح فكر ة هذه الحركة تدريجيا، فقد كان السر سيد حريصا على أن يتم تأجيل موعد استقلال الهند حتى يقف المسلمون على أرجلهم ويصبحوا قادرين على لعب دور فعال ومؤثر في سياسة البلاد، وكان يريد إبعادهم عن السياسة ليتسنى لهم الحصول على التعليم العالي فيستطيعوا المشاركة الفعالة في سياسة البلاد، والتاريخ شاهد على ذلك، حيث قدم ذلك العصر بكل سرعة، فرأينا أبناء عليكره نحو نواب محسن الملك ونواب وقار الملك الذي قال في إحدى محاضراته أنه قد حان وقت الخوض في الأمور السياسية ولو كان السر سيد حيا لحث الناس على ذلك. وكان مولانا حسرت موهاني أول من قام بإصدار قرار ضرورة الحصول على الاستقلال التام من براثن

ثارت الجماهير الهندية في مايو ١٨٥٧م، بعد أن ذاق الهنود مـــرارة الحكم الإنجليزي وغطرسته وجبروته ونهبه لثروات البلاد وتجاهله عن الجانب الديني لأهل البلاد، وانتشرت شرارة هذه الثورة انتشار النـــار في الهشـــيم فكانت ثورة شعبية عارمة ساهم فيها المسلمون والهندوس جنبا إلى جنـــب، واشترك فيها العلماء الكبار نحو حاجي إمداد الله ومحمد قاســـم النـــانوتوي ومولانا رشيد أحمد الغنغوهي وغيرهم.

وعندما أخفقت هذه الثورة، دفع المسلمون ثمنا باهظا لهذا النضـــال وظل قادة الفكر والسياسة وأقطاب الحكومة الإنجليزية يلقون مسؤولية الثورة عليهم واتبعوا سياسية تقوم على تنحية الكوادر المسلمة العاملة في القطاعات الحكومية وسد أبواب الرزق عليهم ومصادرة الأوقاف والمـــدارس الدينيـــة والمؤسسات العلمية ومحاربة النظام التعليمي الإسلامي بالإضافة إلى مواصلـــة أسس التعسف واضطهادهم لأبناء الهند بصفة عامة والمسلمين بصفة خاصة.

فكانت هذه هي أسباب تخلف المسلمين في مجالات الثقافة والعلـــم والاقتصاد وابتعادهم عن المجال السياسي.

بدأت بعض الحركات الإصلاحية الإسلامية تظـــهر علـــى مســـرح الوجود من جديد كحركة ديوبند متمثلة في مدرسة دار العلوم ديوبند الـــتي قام بتأسيسها مولانا محمد قاسم النانوتوي عام ١٨٦٦م، التي رفضت التعليم الغربي الحديث وعزمت على عدم التعاون مع الحكومة الإنجليزيـــة وقـــامت بدور فعال في الحفاظ على العلوم الدينية والعقائد الســـمحة والمســـاهمة في حركة تحرير البلاد. فرأينا أن شيخ الهند محمود الحسن قد بدأ حركة ســـرية عرفت بحركة المكاتيب الحريرية، شارك فيها العديد من أبناء ديوبند نحو عبيد الله السندهي ومولانا حسين أحمد المدني، ومع أن هذه الحركة باءت بالفشل بعد انكشاف سرها على الإنجليز إلا أنها ظلت تظهر على مظاهر أخرى نحـو

الاستعمار الأجنبي إلا أنه لم يجد التأييد العام لذلك القرار. وكـــان راجـــا ماهيندر برتاب سينغ أول من أسس حكومة هندية مؤقتة خارج البلاد مـــن أبناء عليكره. وكذلك الأخوين علي البارزين في حركة الخلافـــة وعـــدم التعاون وحركة العصيان المدني من أبناءه أيضا.

وكان هناك بعض العلماء البارزين الذين لم يرتبطوا بإحدى هـــاتين المدرستين إلا انه كان لهم دور بارز وقيادي في إيقاظ المســـلمين وإصـــلاح شؤونهم وفي حركة التحرير نحو أبو الكـــلام آزاد، الـــذي كـــان يتـــولى المفاوضات باسم الهند مع الإنجليز، حتى نالت البلاد استقلالها، وقام هـــذا المصلح الديني والزعيم السياسي بحركة إصلاح المسلمين، وكان من أبرز قواد حركة التحرير الوطني مدفوعا بروحه الدينية وقام ببذل جـــهود جبـــارة في إحياء الروح الإسلامية في النفوس ودفع المســـلمين إلى التقـــدم في حركـــة التحرير الوطنية.

فكانت هذه الحركات الإصلاحية الإسلامية قد لعبت حقا بدور بارز في حصول البلاد على استقلالها وذلك لأنها اســـتطاعت أن تحبـــط جميـــع طموحات الحكومة المستعمرة في الحفاظ على السيادة في أرض الهند.

وفي الختام أدعو الله العلي القدير أن يوفقنا لما فيه الخير ويرضى، إنـــه على كل شئ قدير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المراجع والمصادر

الكتب العربية:

١) **أبو الحسن علي الندوي**، المسلمون في الهند، المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناو ١٩٩٨م.

٢) **أحمد أمين**، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، النهضة المصرية، القاهرة ١٩٨٤م.

٣) **حسن محمد جوهر**، الهند، دار المعارف، القاهرة ١٩٧١م.

٤) **زبير أحمد فاروقي**، مساهمة دار العلوم ديوبند في الأدب العربي، دار الفاروق، نيودلهي ١٩٩٠م.

٥) **سيد أبو الأعلى مودودي**، تذكرة دعاة المسلمين، دار العربية للطباعة والنشر، بيروت ١٩٦٦م، ترجمه خليل أحمد الحامدي إلى العربية.

٦) **عبد الحليم ندوي**، مراكز المسلمين التعليمية والثقافية والدينية في الهند، مطبعة نوري المحدودة، مدراس ١٩٦٧م.

٧) **عبد الحي الحسني**، الهند في العهد الإسلامي، دائرة المعارف العثمانية، حيدرآباد ١٩٧٢م.

٨) **عبد المنعم النمر**، أبو الكلام آزاد، لجنة التعريف بالإسلام، الجزء الأول.

٩) **عبد المنعم النمر**، تاريخ الإسلام في الهند، دار العهد الجديد للطباعة، الطبعة الأولى، مصر ١٩٥٩م.

١٠) **عبد المنعم النمر**، كفاح المسلمين في تحرير الهند، مكتبة وهبة، ١٩٦٤م.

١١) **عدنان نعجاتي**، صورة من الهند، الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق ١٩٩١م.

١٢) **محمد عبيد الله الأسعدي القاسمي**، دار العلوم ديوبند مدرسة فكرية توجيهية حركة إصلاحية دعوية مؤسسة تعليمية تربوية، أكاديمية شيخ الهند، دار العلوم ديوبند، ٢٠٠٠م.

١٣) **محمد واضح الحسني ندوي**، الدعوة الإسلامية ومناهجها في الهند، مكتبة أبو الحسن علي، دهلي ٢٠٠٤م.

١٤) **محمد يوسف كوكن**، دولة المغول في الهند ١٥٥٢م-١٨٥٧م، دار حافظة للطباعة والنشر، مدراس ١٩٨٧م.

الكتب الأردية:

١) **أبو الحسن علي ندوي**، سيرت سيد أحمد شهيد، مكتبة اسلام، لكناو ١٩٦٨م.

٢) **أبو سلمان شاهجهان بوري**، مولانا عبيد الله سندهي كا انقلابي منصوبة، خدا بخش لايبريري، بتنه ١٩٩٨م.

٣) **أختر الواسع**، سر سيد كي تعليمي تحريك، مكتبة جامعة ليميتيد، نيودلهي ١٩٨٥م.

٤) **أسير أدروي**، جمعية العلماء هند، شعبه اشاعت جمعية العلماء هند، دهلي ١٩٨٢م.

٥) **أسير أدروي**، تحريك آزادي أور مسلمان، دار المؤلفين ديوبند، يوبي ٢٠٠٢م.

٦) **اقتدار محمد خان**، ١٩٤٧ كى بعد هندوستان مين إسلامي تحريكين، مكتبة جامعة ليميتيد، دريا غنج، دلهي ١٩٩٥م.

٧) **د. أكبر رحماني**، عليكره سى ديوبند تك تعليمي سفر نامه،ايجيوكيشنل أكادمي اسلام بور، مهاراشترا ١٩٩٨م.

٨) **ألطاف حسين حالي**، حيات جاويد، ترقي اردو بيورو، نيو دلهي، ١٩٨٢م.

٩) **مولانا حسين أحمد مدني**، نقش حيات، الحزء الثاني، محمد أسعد خادم دار العلوم ديوبند، ١٩٥٤م.

١٠) **د. حميده رياض**، محمد علي جوهر، شمي فاين آرتس، ناكبور ١٩٨٨م.

١١) المرتب: **خليق أنجم**، أبو الكلام آزاد شخصيت أور كارنامي، أردو أكادمي، دهلي ١٩٩٩م.

١٢) **خليق أنجم**، حسرت موهاني، وزارة الاطلاعات والنشر، الحكومة الهندية، نيودلهي ١٩٩٤م.

١٣) **رشيد أحمد صديقي**، عليكره ماضي وحال، مسلم يونيورستي بريس، عليكره ١٩٧١م.

١٤) **سرسيد أحمد خان**، أسباب بغاوت هند، يونيورستي ببليشر، عليكره ١٩٥٨م.

١٥) **سيد أبو الأعلى مودودي**، تحريك آزداي هند أور مسلمان، الجزء الأول، اسلامك ببليكيشنز ليميتيد، ١٩٨٧م.

١٦) **سيد أبو ظفر ندوي**، مختصر تاريخ هند، دار المصنفين شبلى أكيدمي، أعظم جره ٢٠٠٣م.
١٧) **د. سيد احتشام أحمد ندوي**، عصر حاضر كي إسلامي تحريكين، عليكره ١٩٨٨م.
١٨) **سيد ألطاف حسين**، عليكره تحريك، همدرد فاونديشن، كراتشي ١٩٧٠م.
١٩) **سيد حامد علي**، تحريك إسلامي أور برادران وطن، مكتبة اسلامي، دلهي ١٩٨٠م.
٢٠) **سيد خورشيد مصطفى رضوي**،١٩٥٧ تاريخ جنك آزادي هند، رضا لائبريري، رام بور ٢٠٠٠م.
٢١) **د. سيد عبد الباري**، آزاد هندوستان مين مسلم تنظيمين، انستيتيوت آف ابجيكتو استديز، نيودلهي ٢٠٠١م.
٢٢) **سيد محبوب رضوي**، تاريخ دار العلوم ديوبند، الجزء الأول، إدراه إهتمام دار العلوم ديوبند، يوبي ١٩٧٧م.
٢٣) **سيد محبوب رضوي**، تاريخ دار العلوم ديوبند، الجزء الثاني، إدراه إهتمام دار العلوم ديوبند، يوبي ١٩٧٨م.
٢٤) المرتب: **مولانا سيد محمد ميان**، تحريك ريشمي رومال، مكتبة جاويد، ديوبند ٢٠٠٢م.
٢٥) **مولانا سيد محمد ميان**، علماء هند كا شاندار ماضي، كتابستان، الجزء الثاني والثالث، دهلي ١٩٨٥م.
٢٦) **سيد هاشمي فريد آبادي**، تاريخ مسلمان باك وهند، الجزء الأول والثاني، إدارة معارف اسلام، لاهور ١٩٨٩م.
٢٧) **شيخ محمد اكرام**، موج كوثر، ادراه ثقافت اسلامية، لاهور ١٩٨٢م.
٢٨) **صدر الدين إصلاحي**، تحريك إسلامي هند، مركزي مكتبة جماعت إسلامي، دهلي ١٩٧٠م.
٢٩) **عبيد الله السندهي**، شاه ولي الله اور انكي سياسي تحريك، سند ساغر أكاديمي، لاهور ١٩٤٤م.
٣٠) **عرش ملسياني**،أبو الكلام آزاد سوانح حيات، وزارة الاطلاعات والنشر، الحكومة الهندية، نيودلهي ١٩٧٤م.
٣١) **عزيز أحمد**، هندو باك مين إسلامي كالجز، ايجيوكيشنل هاوس، دلهي ١٩٩١م.

٣٢) **قاضي محمد عديل عباسي**، تحريك خلافت، قومي كونسل برائى فروغ أردو زبان، دلهي ١٩٩٧م.
٣٣) **د. محمد أشرف**، هندوستاني مسلم سياست بر ايك نظر، نئي روشن بركاشن، نيودلهي.
٣٤) **د. محمد حبيب**، ميواتي سماج مين مذهبي وإصلاحي تحريكات، اسلامك بك فاونديشن، نيودلهي ٢٠٠٣م.
٣٥) **د. محمد هاشم قدواي**، جديد هندوستان كى سياسي أور سماجي أفكار، ترقي أردو بيورو، نيودلهي ١٩٨٥م.
٣٦) **د. مختار أحمد مكي**، تحريك آزادي أور مسلمان، قاضي ببليشرز ايند دستري بيوترس، نيودلهي ٢٠٠٣م.
٣٧) **مسعود عالم ندوي**، هندوستان كي بهلي إسلامي تحريك، مركزي مكتبة إسلامي، دلهي ١٩٧٧م.
٣٨) **معين أحسن جذبي**، حالي كا سياسي شعور، أنجمن ترقي أردو، عليكره ١٩٥٩م.
٣٩) **مظهر حسين**، عليكره تحريك سماجي أور سياسي مطالعه، أنجمن ترقي أردو، نيودلهي ١٩٩٣م.
٤٠) **نور الحسن نقوي**، محمدن كالج سى مسلم يونيورستي تك، ام كيه آفسيت برنترس، دلهي ٢٠٠١م.

الكتب الإنجليزية:

1) **Abul Kalam Azad**, India Wins Freedom. Culcutta 1959.
2) **Barbara Daly Metcalf**, Islamic Revival In British India: Deoband, 1860-1900 (Princeton University Press, Princeton, New Jersey, 1982).
3) **Bipan Chandra**, India's Struggle for Independence, Niking, 1988.
4) **Frederic Grare**, Political Islam In The Indian Subcontinent: Jamaat-I- Islami, Manohar, N. Delhi 2001.
5) **Ishtiyaque Danish** Empowerment of Muslim Youth In Indin, Institute Of Objective, N. Delhi 2004.

6) **Munator Main**, The Aligarh Movement, Karachi, 1976.
7) **Safia Amir**, Muslim Nationhood In India, Kamishka Publishers Distributors, N Delhi 2001.
8) **Smith**, Modern Islam In India, London, 1968.

الجرائد والمجلات:

١) **أكادمي**، حرف أزادي نمبر، أردو أكاديمي، لكناو، ١٩٩٨م.
٢) **أيوان أردو**، مولانا أبو الكلام آزاد نمبر، أردو أكادمي دهلي ١٩٨٨م.
٣) **تهذيب الأخلاق**، عليكره مسلم يونيورستي، مجلد ١٧، عدد ٣-٤، عام ١٩٩٨م.
٤) **ثقافة الهند**، المجلد ٣٨، العدد ١-٢، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بوان، نيودلهي ١٩٨٧م.
٥) **ثقافة الهند**، المجلد ٤١، العدد ٢، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بوان، نيودلهي ١٩٩٠م.
٦) **ثقافة الهند**، المجلد ٥١، العدد ١، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بوان، نيودلهي ٢٠٠٠م.
٧) **ثقافة الهند**، المجلد ٥٢، العدد ١، المجلس الهندي للعلاقات الثقافية، آزاد بوان، نيودلهي ٢٠٠١م.
٨) **الداعي**، دار العلوم ديوبند، العدد ١-٢-٣-٤ مارس وأبريل ١٩٨٠م.

Jawaharlal Nehru University Library

DISSERTATION

For M.Phil.

Reformist Movements In India And It's Impact On Struggle Against British Imperialism

"Al-Harakat al-Islahia fi al-Hind Wa Asaruha fi al-Kefah Zedda al-Istiámar al-Briyani"

Submitted by

Mahmood Hafiz Abdul Rub Mirza

Under the Supervision
Of

Prof. S.A. Rahman

Center of Arabic and African Studies
School of Language, Literature and Culture Studies
Jawaharlal Nehru University
New Delhi
110067
India